الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات
القسم:اللغة العربية.

المرجع:.....

التقديم والتأخير بين البلاغة العربية والتداولية دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني أنموذجا

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالب(ة):
كنزة زويلخ

إشراف الأستاذ(ة):
دلال وشن

الشعبة :
اللغة والأدب العربي

التخصص :
علوم اللسان العربي

السنة الجامعية : 2013/2012

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله

من لم يشكر الناس لم يشكر الله

أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان إلى أستاذتي المشرفة الأستاذة " دلال وشن " التي لم تدخر جهدا في سبيل إنجاز هذا البحث فمليون ألف كلمة شكر ّ .

أشكر كل أساتذة معهد الآداب و اللغات و خاصة الأستاذة " ظريفة باسة " التي قدمت لي العون و لم تبخل بالنصح و الإرشاد .

كذلك كل من مد لي يد العون و المساعدة من قريب أو بعيد حتى و لو بالكلمة الطيبة .

مقدمة

مقدمة:

شكل التراث العربي اللغوي متنفسا للباحثين المعاصرين، وذلك من منطلق شغف التنقيب عن قراءة جديدة تتماشى مع الطروحات الفكرية المعاصرة، و قد حظي الدرس البلاغي عند العرب بكثير من الاهتمام، و ذلك لأن البلاغة كانت تحمل منذ نشأتها بذور العبقرية العربية فتراثنا اللغوي عامة و البلاغي خاصة يزخر بالدرر الثمينة لا يتوصل إليها إلا من يتوغل في أغوار العلوم.

تعد مسألة التقديم والتأخير من المسائل الأساسية التي عني بها البلاغيون و جعلوا المعنى محورا في حالات التقديم و التأخير، و يتضح ذلك من خلال ما قدمه " عبد القاهر الجرجاني " في كتابه " دلائل الإعجاز الذي يمثل عصارة الفكر العربي في أزهى عصوره.

ظهر حقل التداولية في الدراسات المعاصرة هادفا إلى إعادة الاعتبار للعامل غير اللساني في ساحة الدراسات اللسانية، و ذلك بجعل السياق و ظروف المقام من بين شروط نجاح العملية التواصلية بين المرسل و المتلقي، فالتداولية تنظر إلى اللغة باعتبارها نشاطا يمارس من قبل المتكلمين لإفادة السامعين معنى ما ضمن الإطار السياقي.

و قد كان سبب اختيار موضوع " التقديم و التأخير بين البلاغة العربية و التداولية دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني أنموذجا " أن البلاغة العربية تزخر بعديد المفاهيم التي تواكب ما تدرسه التداولية المعاصرة، و لأن التداولية تكاد تكون حكرا على الغربيين،

و"عبد القاهر الجرجاني" بالذات لأنه يمثل مرجعا فنظريته تواكب الدراسات اللغوية المعاصرة، فالهدف ليس مجرد استصحاب التراث إلى عصرنا، و لكنه محاولة المقارنة بين البلاغة العربية و التداولية و الوقوف على وجه الشبه بينهما.

ومن الأسئلة التي نطرحها: ماذا نعني بالتقديم و التأخير، و هل يغير التقديم والتأخير معنى الكلام ؟ و ما هي العلاقة الموجودة بين التداولية و البلاغة العربية ؟ و لقد حاول الباحثون التأصيل للدرس التداولي في الموروث اللغوي العربي فنجد " مسعود صحراوي " في كتابه " التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني،

و كذلك " خليفة بوجادي " في كتابه: " في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، و تم الاعتماد على المنهج الوصفي المقارن لأننا بصدد مقارنة ما جاء به " عبد القاهر الجرجاني " في باب التقديم و التأخير والتداولية المعاصرة.

وكان عملنا وفق خطة ثم تقسيمها إلى ثلاثة فصول و مقدمة و خاتمة .

تناولنا في الفصل الأول: تعريف البلاغة لغة و اصطلاحا و كذلك عرفنا علم المعاني.

تحدثنا عن التقديم و التأخير بشكل عام؛ أي نظرة العلماء له قبل الجرجاني و بعده، ثم تناولنا التقديم و التأخير كما عالجه الجرجاني، التقديم و التأخير مع همزة الاستفهام تقديم الفعل الماضي و الاسم، و كذلك تقديم المفعول به، التقديم و التأخير في النفي، أيضا تقديم الجار و المجرور مع النفي و تأخيره و قبل ذلك تحدثنا عن تقديم المفعول به في النفي و تأخيره بعد النفي و تقديم و تأخير الخبر المثبت، وكذلك تحدثنا عن " مثل"و"غير" وتقديم النكرة.

أما في الفصل الثاني المعنون بالتداولية فتناولنا التداولية تعريفها و موضوعاتها، الافتراض المسبق و الاستلزام الحواري، أنواعه و خصائصه و كذلك مبدأ التأدب إضافة إلى حديثنا عن الأفعال الكلامية ما قدمه " أوستن "و ما أضافه " سيرل ".

أما الفصل الثالث فهو فصل تطبيقي عنوانه مقاربة تداولية للبلاغة العربية تحثنا فيه عن ملامح التداولية في البلاغة العربية، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية بعد ذلك مقاربة

تداولية للتقديم و التأخير و الاقتراض المسبق الاستلزام الحواري و أنهيناه بالأفعال الكلامية.

و في الأخير خلصنا إلى أهم النتائج المتحصل عليها في خاتمة بعدها قائمة المصادر

و المراجع و فهرس الموضوعات و ملخص.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث هو صعوبة التوغل و قراءة التراث البلاغي فهو يتطلب وقت و نحن كنا مقيدون بالوقت.

الشكر لله و لأساتذتنا الكرام، و خاصة الأستاذة المشرفة " دلال وشن " و لكل من علمني حرفا طوال مشواري التعليمي.

الفصل الأول

التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني

1ــ البلاغة:

أ ــ لغة :

جاء في لسان العرب في مادة (ب ل غ):

بلغ: بَلَغَ الشَّيْءُ: يَبْلُغُ بُلُوغاً و بَلاَغًا: وصل و انتهى، و أبغلهو إبلاغًا و بَلَّغَهُ تَبْلِيغًا.

و البلاغة: الفصاحة، و البلغُ:البليغ من الرجال، رجل بليغ وبلغ و بلغ حسن الكلام فصيحه، و بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه، و الجمع بُلغَاء.[1]

و في مجمل اللغة وردت :

بَلَغَ : بلغت المكان، أشرفت عليه، والبلوغ : الوصول ...، والبليغ:الرجل الفصيح[2].

فالبلاغة في اللغة هي الانتهاء و الوصول.

ب ــ اصطلاحا:

ارتبط تعريف البلاغة عند أغلب من تصدى لتعريفها بمفهوم المطابقة، يقول صاحب كتاب التعريفات:«البلاغة ... في الكلام مطابقته لمقتضى الحال»[3]، و هذا التعريف نجد ما يشبهه في تعريف الخطيب القزويني بقوله:«بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته و مقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يبان مقام التعريف، و مقام الإطلاق يبان مقام التقييد، و مقام

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ب ، ل ، غ) ضبط نصه و علق حواشيه، خالد رشيد القاضي، دار الصبح، اديسوفت ، ط 1 ، 1427 هـ ، 2006 م ، ص 468- 469 .

أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ، 1984م، [2] ص135.

[3] الجرجاني علي بن محمد، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، ط 4 ، 1418 هـ ، 1998 م ، ص 66 .

التقديم يبان مقام التأخير... و كذا لكل كلمة مع صاحبها مقام إلى غير ذلك، فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب ». [1]

و ما يلفت النظر في تعريف البلاغة هو الفصل بين بلاغة الكلام و بلاغة المتكلم،فبلاغة الكلام أن يكون مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته، أي أن يكون التعبير فيه خصائص و أوضاع معينة حيث تسمح هذه الأوضاع و الخصائص على حمل المعاني يكون بها الكلام وافيا، و مطابقا لما يتطلبهالموقف الداعي.[2]

معنى هذا أن يكون الكلام واضحا بعبارات صحيحة فصيحة، مع ملاءمة كل الكلام للموطن الذي يقال فيه،و الأشخاص الذين يخاطبون به.

و هناك تعريفات عديدة للبلاغة نذكر منها:

- « البلاغة راجعة إلى اللفظ باعتباره إفادة المعنى بالتركيب، و إذا لم يكن الكلام مركبا من ألفاظ فلا يسمى بليغا».[3]
- « البلاغة مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، و إلى تمييز الكلام الفصيح من غيره»[4].

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت –لبنان ، ط 1 ، 1422 هـ – 200، م ، ص 16 ، 17 .

[2] محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة عابدين،القاهرة– مصر،ط 1 ، 1427 هـ،2006 م ، ص 71 .

[3] محمد أبو شوارب، أحمد محمود المصري، المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية –مصر،ط 1، 2007 م ، ص 203 .

[4] أحمد محمود المصري، رؤى في البلاغة العربية، دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية – مصر ، ط 1 ، 2008 م ، ص 15 .

يقول "أحمد أبو المجد"في كتابه"الواضح في البلاغة" في تعريف البلاغة:

- «...هي القدرة على تكوين الأسلوب الجيد؛ أي: نقل أفكار الأديب، و تصوير أحاسيسه و مشاعره في عبارة واضحة تحدث أثرا خلابا و متعة في نفس القارئ».[1]

كذلك البلاغة هي:« الإجادة في إيصال المعنى إلى ذهن السامع و القارئ باستقامة ووضوح».[2]

مما تقدم فالبلاغة هي العلم الذي يهتم بدراسة اللغة و علاقتها بالموقف ويركزأغلبالباحثين على مطابقتها مقتضى الحال، و كذلك تدرس الكلام البليغ و الفصيح و تهتم بعلاقة المتكلم و السامع من تأثير و غيره... لذلك فالبلاغة هي حسن البيان و قوة التأثير.

2ـ علم المعاني:

علوم البلاغة ثلاثة هي: علم البيان، وعلم البديع، و علم المعاني[3]، هذا الأخير الذي هو عبارة عن« أصول و قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له، و موضوعه اللفظ العربي».[4]

---

[1] أحمد أبو المجد، الواضح في البلاغة (البيان و المعاني و البديع) ، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان – الأردن ط 1، 1431 هـ ، 2010 م ، ص 14 .

[2] جورج شكور، كتاب البيان، موجز في البيان و العروض،دار الفكر اللبناني، بيروت – لبنان، ط1 ، 1996 م ص 40 .

[3] عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان– الأردن، ط 1، 1432 هـ ، 2011 م ، ص 36 .

[4] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، القدس للنشر و التوزيع، (د ط)،(د ت) ص 34 .

قال السكاكي في تعريف علم المعاني : «علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره».[1]

يقوم هذا التعريف على عنصرين اثنين:

- تركيب الكلام .
- مقتضى الحال .

و يعرفه "محمد أبو موسى"في كتابه "خصائص التراكيب"بقوله: « هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال؛ أي هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ من تعريف و تنكير و ذكر و حذف وإظهار و إضمار، و تقديم و تأخير ... ، و غير ذلك و يتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعا يطابق دواعي النفس » .[2]

إذن علم المعاني هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال و هو علم يشتمل على أمور ثلاثة:[3]

1-الحال وهو المناسبة و المقام الذي ذكر فيه كالمدح و الفخر، و الرثاء ....

2-مقتضى الحال: و هو الصورة الخاصة التي ترد في الكلام زائدة على معناها الأصلي و يقتضيها المقام كالذكر، و الحذف ....

3-مطابقة الكلام لمقتضى الحال: و هو مجيء الأسلوب مشتملا على صورة خاصة استدعاها الحال.

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1420 هـ، 2000 م ، ص 247

[2] محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب ، ص 75 .

[3] أحمد أبو المجد، الواضح في البلاغة (البيان و المعاني و البديع) ، ص 109 .

4-موضوعه: يدرس علم المعاني أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المتعلقات بالفعل، القصر، الإنشاء، والفصل والوصل، و الإيجاز و الإطناب.[1]

3ــ في التقديم و التأخير:

أولى علماء العرب في القديم * مبحث التقديم و التأخير العناية الاهتمام، وهذا يكشف عن وعيهم لما يضفيه على المعنى من دقة و على العبارة من حُسن.

و كانت المهاد الأولى ملاحظات سجلها الرواد الأوائل بهدف تأكيد مثالية العبارة من زاوية نحوية في المقام الأول، من خلال الكشف عن المواضع التي كان حقها التقديم و تلك التي كان حقها أن تتأخر، و نجد حديث الخليل في بحث الابتداء« و زعم الخليل أنه يستقبح أن يقول قائم زيد، و ذلك إلم تجد قائما مقدما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخر و تقدم فتقول: ضرب زيدا عمرو و عمرو على ضرب مرتفع.»[2]

بعد ذلك عكف البلاغيون على تنظيم البحث في التقديم والتأخير، فميزوا بين التقديم في الجملة الإنشائية، و التقديم في الجملة الخبرية، و قسموا التقديم في الجملة الخبرية إلى تقديم المسند إليه و تقديم المسند، و تقديم المتعلقات.

كذلك عني بعض البلاغيين القدماء بالنظر إلى الكلمة إذ تتقدم في آية و تتأخر في آية أخرى، و قسموا هذا النمط من التقديم و التأخير أنواعا، كالتقديم باعتبار

---

[1] الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء – بيروت، العربية محمد علي الحامي للنشر صفاقس – تونس ، ط 1 ، 1992 م ، ص 97 .

* منهم على سبيل المثال لا الحصر : سيبويه في الكتاب ، ج 1 ص34 ، ابن الأثير في المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، حققه أحمد الحوقي، المبرد في المقتضب، حققه محمد عبد الخالق عضيمه ج 3 ص195 ج 4 ص127 .

[2] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر ، ط 3 ، 1407 هـ ،1977 م ، ج 1 ، ص 34 .

الزمان و تقديم باعتبار الشرف، و التقديم باعتبار المكان، و تقديم الأعجب فالأعجب ... إلى غير ذلك من الأنواع التي تحدث عنها السيوطي و الزركشي[1] و حول جماليات التقديم و التأخير تباين مواقف العلماء، قلل منها فريق من العلماء.*و قد أرجع " العتابي " «فساد الصورة و تغيير المعنى إلى التقديم و التأخير»[2]، كما أنكر" الخفاجي" التقديم و التأخير، و تبعه حازم" القرطاجني " في هذا الإنكار.[3]

و خلافا لأنصار الموقف السابق نجد " عبد القاهر الجرجاني " و " ضياء الدين بن الأثير " و "ابن جني " ينظرون بتقدير لجماليات التقديم و التأخير، و في كتاب "الخصائص " لابن جني " أشار إلى ظاهرة التقديم و التأخير على الرغم من تناوله للجانب النحوي أكثر من الجانب الفني البلاغي،من حيث جواز التقديم و عدمه.[4]

و لما جاء "عبد القاهر الجرجاني"عمق الرؤية الفنية لمبحث التقديم و التأخير، فقد أثار قضية التقديم و التأخير بوصفها « ظاهرة أسلوبية تعدل إليها عن أصل مفترضو قد سخر ممن هونوا أمر التقديم و التأخير، و رأوا في تتبعه و دراسته

---

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1407 هـ - 1987 م ، ج 3 ص 35 .

الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، مكتبة دار التراث القاهرة – مصر، ط 2، (د.ت) ، ج 3 ص 233

* منهم المبرد (ت . 279 هـ) و السرافي(ت .368 هـ) .

[2] أبو هلال العسكري، الصناعيين الكتابة و الشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط 2 ، 1404 هـ - 1984 م ، ص 179 .

[3] عمرو إدريس عبد المطلب، حازم القرطاجي حياته و منهجه البلاغي، دار الجنادرية للنشر و التوزيع، الأردن – عمان، (د .ط) ، 2008 ، ص 179 .

[4]ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، (د. ط) (د .ت) ج 2 ، ص 380.

ضربا من التكلف[1]، كذلك نوه " ضياء الدين بن الأثير " لما في التقديم و التأخير من أسرار دقيقة.[2]

من خلال النظر في مبحث التقديم و التأخير، و كيفية معالجة علماء اللغة له فإننا نلحظ ذلك الاختلاف البين في الطرح و التناول و العرض، نتيجة اختلاف كل منهم في فهمه لآلية التقديم و التأخير مما أدى إلى وجود طرق و منهجيات مختلفة، طُرح المبحث من خلالها .

4 ــ التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني:

يعد مبحث التقديم والتأخير من المباحث الأساسية في علم البلاغة فهو واحد من الأركان التي يقوم عليها علم المعاني لما له من وثيق الصلة بقصد المتكلم، و حال المخاطب، و المقام الذي يلقى فيه الكلام، و سيكون هذا الفصل متضمنا نظرية "عبد القاهر الجرجاني" لمسألة التقديم و التأخير، و تركيزه على تأثير التقديم و التأخير في معنى الجملة و دلالتها والتقديم من قدم الشيء أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك،

و قد عرف " الزركشي " التقديم و التأخير في كتابه " البرهان في علوم القرآن " فقال: « هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أوتوا به دلالة على تمكنهمفي الفصاحة وملكتهم في الكلام و انقياده لهم، و له في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق ».[3]

---

[1] مسعود بودوخة، عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط 1، 1432 هـ – 2011 م ، ص 84 .

[2] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، قدمه و علق عليه أحمد الحوقي، بدوي طبانه، دار النهضة للطباعة و النشر، الفجالة، القاهرة – مصر ، (د. ط) (د. ت) ج 2 ص 210 .

[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص 233 .

يعني هذا أن التقديم و التأخير واحد من أساليب البلاغة، و هو يعد من « الشجاعة العربية ».[1]

إن الكلمات في العربية تتخذ مواقع محددة لأداء المعنى.فالفعل و الفاعل، و المبتدأ و الخبر...لهم مواقع معينة التي تحددها قواعد اللغة، لكن هذا لا يعني عدم إمكانية تبادل المواقع بين مكونات الكلام، فوجود الحركات الإعرابية يعطي الكلمات ميزة تجعلها قابلة للتقديم و التأخير.[2]

لذلك فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام و تأليفه، و إنما يعد عملا مقصودا يؤدي غرضا بلاغيا، و لهذا عده "عبد القاهر الجرجاني" من مقومات نظريته في النظم*، و قد قال في صدر حديثه عنالتقديم و التأخير:« هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه،و يفضي بك إلى لطيفه، و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك، أن قدم فيه شيء، و حول اللفظ من مكان إلى مكان».[3]

4 ــ 1ــ أنواع التقديم و التأخير :

يرى "عبد القاهر الجرجاني" أن التقديم يكون على وجهين:[4]

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج ، 2 ص 360 .

[2] إبراهيم بن منصور التركي، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى، العلوم الشرعية و اللغة العربية و آدابها ، ج 19 ع 40 ، ربيع الأول ، 1428 هـ ، ص 568 .

*النظم هو ترتيب الألفاظ في النطق تبعا لترتيب المعاني في النفس، و من هنا، فقد يكون الكلام واحدا في مادته و حروفه و لكن قد تختلف صيغته، وترتيب كلماته من متكلم لآخر، بل عند المتكلم الواحد إذا اختلف المعنى في النفس.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106 .

[4] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص 106 .

- تقديم على نية التأخير .
- تقديم لا على نية التأخير .

أ ــ تقديم على نية التأخير: وهو في كل شيء أقر مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، و في جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدم على المبتدأ، و المفعول إذا قدم على الفعل، و هذا التقديم لا يخرج الخبر أو المفعول عما كانا عليه قبل التقديم.[1]

فتقديم المفعول على الفعل أو الخبر على المبتدإ، فإذا قلت:« في الكتاب فوائد» فإن قولك في الكتاب خبر مقدم، و إذا قلت:« دراهمًا أنفقت» فإن " دراهما " مفعول به، فهما و إن تقدما في الكلام،لكن رتبهما التأخير.[2]

في هذا التقديم يتغير موقع الكلمة في الكلام لكنها تحافظ على علامتها الإعرابية ففي المثالين السابقين بقي " دراهما " مفعولا به منصوبا رغم الانتقال من مكانها الأصلي و كذلك بالنسبة للخبر.

ب ــ تقديم لا على نية التأخير: أي ينقل الشيء من حكم إلى آخر، و ذلك كأن يعمد إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ أو يكون الآخر خبرا له مقدما تارة على ذاك و أخرى على هذا مثل:« زيد المنطلق»، و« المنطلق زيد» فالتقديم

و التأخير يؤثران على معنى الجملة.[3]

---

[1] أحمد مطلوب، كمال حسن البصير، البلاغة و التطبيق، منشورات وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، العراق ، ط 2 ، 1420 هـ ، 1999 م ، ص 145 .

[2] فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للطباعة و النشر و التوزيع ، إربد – الأردن ، ط 4 ، 1417 هـ – 1997 م ، ص 209 .

[3] انعام فوال عكاوي، علوم البلاغة البديع و البيان و المعاني، مراجعة أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2 ، 1417 هـ – 1996 م ، ص 412 .

مثال آخر:« ضربت زيدًا» و« زيدٌ ضربته» على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان، لكن على أن ترفعه بالابتداء و تشغل الفعل بضميره، و نجعله في موضع الخبر له. [1]

بهذا الانتقال لا يوجد ما يدل على أن تغييرا قد حدث على ترتيب الكلمات بتقديم أو تأخير كما في النوع الأول.[2]

"فعبد القاهر الجرجاني" لم ينظر إلى تغيير الإعراب فحسب و إنما إلى اختلاف المعنى باختلاف صور التركيب.[3]

يبدو قصور النحويين عند "عبد القاهر الجرجاني" واضحا عندما قصروا التقديم و التأخير على العناية و الاهتمام، لأن الشأن أن يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام من أين كانت تلك العناية، و لم كان أهم:« اعلم أن لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل، غير العناية و الاهتمام، قال صاحب الكتاب: و هو يذكر الفاعلوالمفعول:« كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم و يعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثالا».[4]

وجه "عبد القاهر الجرجاني""لسيبويه" اللوم لأنه لم يأت بمثال لما قاله فلم يوضح بالتطبيق والتحليل.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 107 .

[2] عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ص 115 .

[3]عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي – ليبيا ، ط 1 ، 1997 م ، ص 38 .

[4]عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 107 .

إن أمر التقديم و التأخير إنما قرر قواعده و بينها أفضل بيان "الإمام عبد القاهر الجرجاني"، و كان الناس من قبله يتحدثون عن التقديم و التأخير حديثا عاما، فيقولون إنما يقدم الشيء للاهتمام به، فإذا كانت هناك مسألة أعيا الطلاب حلها، أو لصا أعيا الناس معرفته، فإنهم يقولون: حل المسألة خالد، و أمسك اللص سعيد.

أما إذا كان الذي حل المسألة أو أمسك اللص لا ينتظر منه ذلك، فإنهم يغيرون النظم فيقولون: حلت فاطمة المسألة، أمسك سعيد اللص[1].

و مثال ذلك قول "عبد القاهر الجرجاني"أن الناس إذا كان يهمهم الخارجي لأنه يكثر الفساد في الأرض و الأذى و يريدون قتله و لا يبالون من القاتل فإنهم يقولون قتل الخارجي زيداو لا يقولون قتل زيدا الخارجي لأن الذي يهمهم هو أن يقتل الخارجي، أما إذا قالوا قتل زيد رجلا فإن الذي يهمهم هنا هو زيد لأن زيد ليس من عادته القتل فقدم زيد لوجه الندرة و الغرابة فيه[2].

اعتبر "عبد القاهر الجرجاني"أن يكون التقديم و التأخير للعناية والاهتمام فقط أمر خاطئ وكذلك يرى من الخطأ في الرأي أي يقسم تقديم الكلام قسمين فيجعله مرة مفيدا وأخرى غير مفيد، لأن التقديم والتأخير يكون لأغراض يقتضيها. يقول:« من الخطأ في الرأي أن يقسم تقديم الكلام فيكون مرة مفيدا وأخرى غير مفيد و أن يكون غرضه للعناية والاهتمام وأخرى للتوسعية على الشاعر والكاتب فتكون للضرورة الشعرية، لأنه من المحال من أن يكون في الجملة نظم يدل مرة و لا يدل مرة أخرى»[3]وينبغي لمن زعم أن التقديم قد يكون لغرض لفظي فقط أن يقول بذلك

[1] فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص 210 .

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 107 ، 108 .

[3]عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص110،111.

في عموم الأحوال، أما جعله لفائدة معنوية تارة ولغرض لفظي أخرى فهذا مما لا يصح القول به.[1]

بعد أن عاب "عبد القاهر الجرجاني"طريقة النحويين في معالجة ظاهرة التقديم والتأخير وتفسيرهم وحصرهم له في العناية والاهتمام أخذ يبين ما ينبغي على البليغ أن يعرفه من أسرار التقديم والتأخير و أن ذلك يكون لعلل بيانية يقتضيها، النظم يقول: «هذه المسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه».[2]

4 ــ 2 ــ التقديم والتأخير بين الفعل الماضي والاسم في الاستفهام:

يذكر"عبد القاهر الجرجاني" أمثلة مختلفة مع همزة الاستفهام تارة يليها فعل وأخرى يليها الاسم، ويرى أن البداية بالفعل تختلف عن البداية بالاسم، إذ يكون تقديم الفعل بغير معنى تقديم الاسم، فيرى أن قولك:« "أفعلت" إذا كان الشك في الفعل نفسه، وأن تقول "أنت فعلت" إذا كان الشك في الفاعل من هو؟».[3]

معنى هذا أنه إذا كان الشك في الفعل وقع أو لم يقع، فعلت أو لم تفعل يأتي بعد الهمزة الفعل، في حين إذا كان الشك حول الفاعل نفسه هو من فعل أولا، يلي الهمزة الاسم (أنت) فالذي يلي الهمزة هو المشكوك فيه والمسؤول عنه.

إذا بدأت بالاسم بعد الهمزة، فقلت "أأنت قلت" كان الشك في الفاعل من هو؟ وكان الشك و التردد فيه: أما الفعل نفسه فمعلوم الثبوت ليس فيه أدنى شك وإنما التردد في أن تعرف فاعله أو مفعوله أو غير ذلك فتقول: "أأنت بنيت هذه الدار"، "أأنت قلت هذا الشعر"، "أأنت كتبت هذا الكتاب" ويجوز أن تقول بالمقابل "أأنت بنيت

---

[1] عبد العاطي غريبعلام، دراسات في البلاغة العربية ، ص39.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص111.

[3] رجاء عيد، فلسفة البلاغة العربية بين التقنية والتطور،منشأة المعارف،الإسكندرية ـَمصر ط2(د.ت)، ص74.

الدار أم أخوك"، "أأنت قلت هذا الشعر أم زيد"، فالفعل في هذه الأمثلة معلوم غير مشكوك فيه، وإنما الشك في فاعله.[1]

يقول"عبد القاهر الجرجاني":«"أأنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها" "أأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله" "أأنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه" خرجت من كلام الناس»[2] لم يجز "عبد القاهر الجرجاني"هذا القول لأن تقديم الاسم في هذه الأمثلة هو المشكوك فيه و المسؤول عنه، و أن الفعل ثابت لا شك فيه، ففي تقديمك للاسم إنما الشك في الفاعل وفي هذه الأمثلة الشك يكون في ثبوت الفعل لا الفاعل.[3]

وفي قولك "أبنيت هذه الدار؟" "أقلت هذا الشعر؟" "أكتبت هذا الكتاب؟" قلت ما ليس بقول لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أموجود أم لا"[4] إذ يفيد القول شكك حول بناء الدار، وقول الشعر، وكتابة الكتاب مع أنهم موجودون أمامك و أنت تسأل عنهم فهذا فساد لأن في مثل هذه الأمثلة الشك يكون في الفاعل وليس الفعل.يواصل "عبد القاهر الجرجاني" في عرض الفروق الدلالية عند تقديم الاسم أو تقديم الفعل فيقول:«...لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم لأنك تقول:«أقلت الشعر قط ؟» «أرأيت اليوم إنسانا؟» فيكون كلامك مستقيم ولو قلت:«أأنت قلت شعرا قط»

« أأنت رأيت إنسانا» . أحلت»[5]، يصح عند "عبد القاهر الجرجاني"قولك: " أقلت شعرا قط، أرأيت اليوم إنسانا " ولكن لا يصح قولك "أأنت قلت شعرا قط"، "أأنت

---

[1] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص49.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص111.

[3] عبد العاطي غريب علام، المرجع السابق، ص46.

[4] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص112.

[5] عبد القاهر الجرجاني،المصدر نفسه،ص112.

رأيت إنسانا" ذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو، في مثل هذا لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول من قال هذا الشعر[1]

من خلال هذه الأمثلة فيصح لك أن تقول "أقلت شعرا قط"، "أرأيت اليوم إنسانا"، فالشك والسؤال يقع في الفعل هل كان أم لا فهذا يجوز، ولكن أن تقول "أأنت قلت شعرا قط"، "أأنت رأيت إنسانا" فلا معنى لسؤالك عن الفاعل من هو في مثل هذا لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول من قال هذا الشعر؟ من رأيت اليوم؟...

والتقديم والتأخير عند "عبد القاهر الجرجاني" لا يأتي للاهتمام والعناية كما هو الحالعند علماء النحو وإنما يأتي لأغراض أخرى يذكرها "عبد القاهر الجرجاني"في أمثلة مختلفة:

« واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة والاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير فإذا قلت: « أأنت فعلت ذاك؟ » كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل»[2]

فإذا أردت أن تقرر بفعل الكتابة مثلا قلت:"أكتبت هذا؟" وإذا أردت أن تقرره بالمفعول قلت:" أزيدا أكرمت؟"فأنت تريد في المثال الأول أن يقر بأن الكتابة وقعت منه، وفي المثال الآخر أن يقرر بأن زيدا وقع عليه الإكرام، فإذا قدمت الفاعل قلت:

"أأنت قلت هذا؟" كان غرضك أن تقرر المخاطب بأنه الفاعل.[3]

---

[1]مي إليان الأحمر،التقديم والتأخير بين النحو والبلاغةرسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة أستاذفي الآداب (مخطوطة)الجامعة الأمريكية في بيروت –لبنان، أيار 2001م،ص80 .

[2]. عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز؛ص114

[3]عبد العاطي غريب علام ، دراسات في البلاغة العربية ،ص38.

وهذا نجده في قوله تعالى: « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم »[1]، لا شك في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقر بأنه منه كان وكيف؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم أأنت فعلتهذا...؟ وقال عليه السلام في الجواب « بل فعله كبيرهم هذا»[2] ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل.[3]

فتقديم الاسم هو الإقرار بوقوع الفاعل من هو وليس بإقرار الفعل فالفرق واضح بين قولك: "أفعلت هذا" وقولك: "أأنت فعلت هذا" ففي الأول غرضك أن تقرره بالفعل من غير أن تردد الفعل بينه وبين غيره، وفي هذه الحالة يجوز أن يكون غير المخاطب فعل هذا الفعل أو لا يكون، أما في المثال الثاني فغرضك أن تقرره بأنه الفاعل دون غيره[4]

ولا تكون الهمزة في التقديم مع الفعل الماضي والاسم للتقرير فقط وهذا ما قاله "عبد القاهر الجرجاني" في" دلائل الإعجاز":« واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان، وإنكار له لم كان، وتوبيخ لفاعله عليه»[5]، ففي قولك: "أسعاد تزورين"؟ يختلف عن قولك: "أتزورين سعاد"؟ لأنه إذا كانت الهمزة بعد الفعل فإننا ننكر وقوع الفعل فحسب دون النظر إلى المفعول، ففي المثال الثاني ننكر الفعل وهو الزيارة لأن هناك أمورا أولى منها: كالدراسة، والصلاة...، أما في المثال الثاني فإن الإنكار واقع على المفعول فكأن سعاد ليست أهلا للزيارة[6].

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 62.

[2] سورة الأنبياء، الآية63

[3] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص144

[4] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص49.

[5] عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص114

[6] فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص234.

قال تعالى:« واصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون»[1]، فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم، وإذا قدم الاسم صار الإنكار في الفاعل ومثاله قولك للرجل قد انتحل شعرا: « أأنت قلت هذا الشعر؟» كذبت ليس ممن يحسن مثله، فأنت أنكرت أن يكون القائل، ولم تنكر الشعر»[2].

ما تقدم هو تقديم الفعل الماضي وتقديم الاسم مع الاستفهام، فتقديم الفعل الماضي مع الاستفهام يكون الشك في وقوع الفعل، وكان الغرض من الاستفهام أن تعلم وجوده أو تقرره، أما تقديم الاسم مع الاستفهام بالهمزة فيقع الشك على الاسم وليس الفعل.

4 ــ 2 ــ أ ــ تقديم الفعل المضارع:

يقول في هذا الصدد "عبد القاهر الجرجاني": «والقول في ذلك أنك إذا قلت "أتفعل؟" و "أأنت تفعل؟" لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال»[3] فإذا كان الفعل مضارعا فإنه لا يخلو من إرادة الحال أو الاستقبال، فإذا أراد المتكلم الحال كان المعنى شبيها بالفعل الماضي، وإذا أريد به الاستقبال كان المعنى إذا بدأت بالفعل أنك تعتمد إلى إنكار العمل نفسه وكأنك تريد أنه لا يحدث و لا ينبغي أن يحدث[4] ومن الأمثلة قول امرئ القيس:[5]

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

---

[1] سورة الصافات، الآيتان، 153، 154.

[2] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص114.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص116.

[4] عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين ابن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية–مصر،(د.ط)، 1986م، ص106.

[5] عبد القاهر الجرجاني،المصدر السابق، ص116.

فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه بدليل أنه قال "والمشرفي مضاجعي" فهذا إنكار تكذيبي بمعنى لا يكون؛ أي إنه لا يقدر أن يقتله لأنه مستعد له[1]ومن الفاعل قولك للآخر، "أأنت تمنعني حقي؟" أأنت تأخذ علي يدي" فأنت تنكر أن يكون هو من يمنعني حقي وأن يأخذ بيدي فهو لا يستطيع ذلك أما غيره فنعم.[2]

فحال الاستفهام مع الفعل المضارع مثل الاستفهام بالهمزة مع الفعل الماضي، ويكون الاستفهام تقريرا للفعل في السؤال "أتفعل" وللفاعل في الجملة "أأنت تفعل" لإقرار الفاعل أو إنكاره يقول "عبد القاهر الجرجاني": «...أأنت تفعل...أو قلت أهو يفعل كنت وجهت الإنكار إلى نفس المذكور»[3]فالاستفهام والفعل المضارع إذا أردت به الحال كان المعنى شبيها بالماضي، في مثل قولك أتفعل أي إنك تريد أن تقرره بفعل هو يفعله، وفي قولك أأنت تفعل كان المعنى أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل، وإذا أردت بالمضارع الاستقبال وبدأت بالفعل كان المعنى على أنك تنكر الفعل نفسه وتزعم أنه لا يكون أو أنه لا ينبغي أن يكون، كما في قول امرئ القيس: « أيقتلني والمشرفي مضاجعي" أما إذا قلت "أأنت تمنعني" فإن معنى ذلك :إنَ غيرك الَذي يستطيع منعي و لست أنت »[4].

فتقديم الفعل المضارع مع همزة الاستفهام يكون للحال أو الاستقبال لا لإنكار أو تقرير الفعل أو الفاعل مثل الفعل الماضي.

---

[1] عبد العاطي غريب علام، ، دراسات في البلاغة العربية ، ص52.

[2]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص117، عبد العاطي غريب علام، المرجع السابق، ص53.

[3]عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص117.

[4]صابر يوسف نجار،الإعجاز اللغوي بين الجرجاني الزمخشري في كتابيهما دلائل الإعجاز والكشاف، رسالة ماجستير(مخطوطة)إشراف سمير ستيتية ،جامعة اليرموك ،2006

4 ــ 2 ــ ب ــ تقديم المفعول به:

بعدما تحَدَث" عبد القاهر الجرجاني" عن تقديم الفعل الماضي و الفاعل والفعل المضارع مع همزة الاستفهام،انتقل إلى المفعول به يقول :« واعلم أن حال المفعول به فيما ذكرنا كحال الفاعل: أعني أنَ تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريقه للإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل»[1].

و مثال ذلك قولك:زيدا ضربت، فمعنى ذلك أنَك تقصر الضرب على زيد و نفهم ثلاثة أمور من قولك:

1-وجود ضرب منك.

2-كون هذا الضرب وقع على زيد.

3-أنه لم يقع على غير زيد[2].

فتقديم المفعول في الاستفهام كتقديم الفاعل يفيد إنكار أن يقع مثل ذلك الفعل على المفعول ففي قوله تعالى: «قل أغير الله أتخذ ولياَ»[3] إنكار أن يكون غير الله بمثابة أن يتَخذ وليا، وللتقديم هنا خاصية معنوية لا تحصل لو أخر المفعول فإنَ الآية " قل أغير الله أتخذ وليا "إذ يتضمن تقديم المفعول بمعنى لا يكون " أأتخذ غير الله وليا" يقول"عبد القاهر الجرجاني":«وكان له من الحسن و المزية والفخامة، ما تعلم أنه لا يكون لو أخر فقيل " أأتخذ غير الله وليا"»[4].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص121

[2] فضل حسن عباس،البلاغة العربية فنونها وأفنانها،ص235

[3] سورة الأنعام، الآية14

[4] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 121

فتقديم المفعول والفعل مضارع فهو كحال الفاعل،و لكنه لا يكون إلى بمعنى الاستفهام الإنكاري بالإضافة إلى الفروق الدلالية في تقديم المفعول،أشار"عبد القاهر الجرجاني" إلى البعد الجمالي لتقديم المفعول، ما تقدم هو تقديم الفعل والفاعل في الاستفهام بالهمزة،إن كان الفعل ماضيا، و تقديم الفعل والفاعل أوالمفعول إن كان الفعل مضارعا، و في هذه الوجوه المختلفة، معاني مختلفة و دلالات فنية وجمالية متغيرة،فالهمزة إذا ولها الفعل دلت على معنى، و إذاولها الاسم دلت على معنى آخر.

4 ــ 3 ــ التقديم و التأخير في النفي :

بعد أن تحدث "عبد القاهر الجرجاني" عن مسالة التقديم و التأخير في الاستفهام يعرض إلى التقديم و التأخير في النفي يقول:«إذا قلت "ما فعلت " كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: "ما أنا فعلت "كنت نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول»[1]ففي هذا المثال:"ما زيدا ضربت" نفهم من خلال هذه الجملة ثلاثة أمور: وجود ضرب، أن هذا الضرب يقع على زيد،وقع على غير زيد ضرب[2].معنى ذلك أنك إذا أردت نفي الفعل قدمته فتقول: "ما فعلت""ما سرقت"،"ما قلت"،"ما ضربت،"بمعنى أن فعل السَرقة و القول والضرب غير مثبت في ذاته،أما إذا أردت نفي الاسم قدمته فقلت "ما أنا أكلت هذا"،"ما أنا كتبت هذا"،"ما أنا اشتريت هذا" بمعنى أن غيرك قد أكل و كتب،و اشترى.

يواصل "عبد القاهر الجرجاني" في عرضه لمسألة النفي و ينبه إلى الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم: يصح حين تقدم الفعل أن يكون النفي عاما نحو:" ما قلت شعرا قط" ، و"ما أكلت اليوم شيئا" و " ما رأيت أحدا من الناس".

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق،ص124.

[2] فضل حسن عباس،البلاغة العربية فنونها وأفنانها،ص236.

ولا يصح لك أن تقول إذا قدمت الفعل، و كان خلفا و باطلا من القول " ما أنا قلت شعرا قط" و " ما أنا أكلت اليوم شيئا " و "ما أنا رأيت أحدا من الناس " لأن ذلك يقتضي المحال وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، و أكل كل شيء يؤكل، و رأى كل الناس في الدنيا،فنفيت أن تكون ذلك الشخص[1] .

نفهم من الأمثلة السَابقة أنه من الصواب أن تقول" ما قلت الشعر قط"،"ما رأيت اليوم إنسانا"، "ما أكلت شيئا"،لأنك تنفي عنك الأكل أو قول الشعر أو رؤيتك أحدا من الناس، أما من الخطأ و المحال أن تقول:" ما أنا أكلت اليوم شيئا"،"ما أنا قلت الشعر قط"،"ما أنا رأيت اليوم إنسانا"،لأنك تنفي أن تكون قد أكلت اليوم شيء أو رأيت أحد من الناس، أو قلت الشعر، فأنت نفيت أن تكون الفاعل لكن محتمل أن يكون غيرك فعل ما نفيته عن نفسك وهذا ضرب من المحال أن يكون شخص قد قال كل الشعر الموجود في العالم وكذلك بالنسبة لرؤية الناس أو الأكل، ومثل هذا نجده في المثال التالي:

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

والمعنى أن هذا السقم موجود، والضرم ثابت، ما أنا جالب لهما فالقصد إلى النفي كونه فاعلا لهما لا إلى نفيهما بمعنى أن السقم والضرم موجودان والنفي يكمن في جلبهما لا في وجودهما.[2]

تقديم المنفي يقع في موقعين أحدهما: "ما قلت هذا وما قاله أحد من الناس".[3]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ، ص 124

[2] أحمد مطلوب، القزويني وشرح التلخيص، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق، ط1، 1987م، ص215.

[3] عبد القاهر الجرجاني،المصدر السابق ، ص125.

لأنك عندما قدمت الفعل نفيته عن نفسك من غير أن يثبت أنه مقول، لذلك صح أن تنفيه عن الناس جميعا.[1]بمعنى أن النفي واقع على حدوث الفعل فنفيت أنك قلت هذا، ونفيته على الناس، أما في قولك "ما أنا فعلت هذا، ولا فعله أحد من الناس" "وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد سواي" كان خلف من القول"[2] فهذا لايصح عند تقديم الاسم" ما أنا قلت هذا"، و"ما أنا ضربت زيدا"، لأنه نفى القول والضرب عن نفسه، وأثبته لغيره، فعندما تقول و"لا قاله أحد من الناس"، و" لاضربه أحد سواي"، يكون قد نفاه عن غيره أيضا فيأتي التناقض، لأن العبارة الثانية تناقض مفهوم الأولى.[3]

إذن يصح أن تقدم الفعل المنفي عنك ثم تنفيه عن غيرك لكن لا يجوز تقديم الاسم المنفي ثم تنفيه عن غيرك فهذا تناقض.

أما الثاني من الأمرين: يقول "عبد القاهر الجرجاني": «...أنك لوقلت: "ما ضربت إلا زيدا" فيكون الكلام مستقيما»[4]؛أي يصح بتقديم الفعل لأنك تنفي عن نفسك ضرب غير زيدا، إن الضرب وقع منك إلا على زيدا وثبت ضرب زيدا.[5]ولو قلت ما أنا ضربت إلا زيدا كان لغوا من القول[6] وهذا لأن نقض النفي ب "إلا" يقتضي أن يكون القائل له قد ضرب زيدا وإيلاء الضمير حرف النفي يقتضي أن لا يكون ضربه [7] فيصح لك أن تقول ما ضربت إلا زيدا، في حين يكون من الخطأ والتناقض أن تقول "ما أنا ضربت إلا زيدا".

---

[1] عبد العاطي غريب علام،، دراسات في البلاغة العربية، ص63.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص126.

[3] عبد العاطي غريب علام، المرجع السابق، ص63.

[4] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص126.

[5] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص63.

[6] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص126.

[7] أحمد مطلوب، القزويني وشرح التلخيص، ص215.

4ـ 3 ـ أ ـ تقديم المفعول وتأخيره في النفي:

يختلف المعنى اختلافا بيّنا إذا قدمت الفعل على المفعول أو العكس؛ أي المفعول على الفعل في الجملة المنفية يقول "عبد القاهر الجرجاني": «...فإذا قلت:ما ضربت زيدا، فقدمت الفعل، كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد»[1]، يعني نفيت أنك ضربت زيدا دون أن تعرض أنك ضارب غيره، أما في قولك:«ما أنا ضربت زيدا فقدمت الاسم، كان المعنى على أن ضربا وقع منك على إنسان...؛ أي إن هناك ضربا ولكن ليس زيدا من وقع عليه الضرب»[2] فتقديم الفعل ينفي وقوع الفعل أي نفي ضرب زيدا أما تقديم المفعول يثبت الفعل وينفي الواقع عليه أي إن هنا ضرب ولكن ليس زيدا من وقع عليه الضرب، أما في المثال الآتي فيقول"عبد القاهر الجرجاني": «...فلك أن تقول في الوجه الأول"ما ضربت زيدا، ولا أحد من الناس"، وليس لك ذلك في الوجه الثاني، فلو قلت"ما زيدا ضربت ولا أحد من الناس" كان فاسدا»[3].

في الوجه الثاني لا يصح لأن تقديم المفعول يدل على أنك ضربت غير زيد، أي نفيت أن يكون زيد هو المضروب وأحد من الناس.[4]

ثم ينبه "عبد القاهر الجرجاني" إلا أنه يجب أن تعلم: "أنه لا يصح لك أن تقول: "ما ضربت زيدا ولكن أكرمته"...، ولا يصح أن تقول ما زيدا ضربته ولكني أكرمته"[5]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص126.

[2] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص126.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص126.

[4] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية ، ص66.

[5] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق ، ص127.

ولا يجوز لك أن تقول" ما زيدا ضربت، ولكن أكرمت"،" ما ألفية ابن مالك حفظت ولكن فهمت" لأن حديثك عن المفعول، فإذا قلت ولكن أكرمت أو لكن فهمت كان حديثك عن الفعل و الفعل ليس محل نزاع.[1]ولكي يستقيم المعنى فلك أن تقول: ما زيدا ضربت ولكن عمرو، ومما لاشك فيه أن تقديم المفعول وتأخيره مما يختلف به الأسلوب، كما يختلف بتقديم الفاعل وتأخيره وتبعا لاختلاف السؤال يختلف المعنى.[2]

ومما تقدم فإن تقديم نفي الفعل هو نفي لحدوث الفعل نفسه، وأما تقديم نفي المفعول به هو نفي الواقع عليه دون غيره لذلك فسد أن تقول" ما زيدا ضربت ولكني أكرمته".

4ـ 3 ـ ب ـ تقديم الجار مع المجرور وتأخيره في النفي:

يقول "عبد القاهر الجرجاني":«وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب، فإذا قلت " ما أمرتك بهذا، كان معنى هذا أنك نفيت عن نفسك بأمره بذلك ولم يجب أن يكون قد أمرته بشيء آخر، وإذا "قلت ما بهذا أمرتك"، كنت قد أمرته بشيء آخر»[3]

ففي قولك" ما بهذا " يفيد حصول فعل من المخاطب ونفي تعلقه بالجار و المجرور وبثبوت تعلقه بغيره"[4]

يعني هذا إذا تقدم الفعل نفيت أنك أمرته بشيء وإذا تقدم الجار مع المجرور فأنت تنفي هذا الفعل بعينه، وإنما هو أمر آخر؛ أي أمرته بشيء غير الذي جاء به.

---

[1] فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص236.

[2] عبد العاطي غريب علام،دراسات في البلاغة العربية، ص67

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص127.

[4] فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص237.

يظهر لنا مما سبق أن تقديم الفعل في النفي على الفاعل أو المفعول أو الجار والمجرور هو نفي للفعل الواقع في الجملة دون وجوب نفي هذه الأسماء، أما تقديم كل من الفاعل أو المفعول أو الجار أو المجرور فهو إثبات للفعل ونفي للأسماء بذاتها.

4 ــ 4 ــ التقديم والتأخير في الخبر المثبت:

تشابه أحوال الجملة الاستفهامية، والمنفية الجملة المثبتة يقول "عبد القاهر الجرجاني":«واعلم أن الذي بان لك في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في الخبر المثبت»[1] فإذا قدمت الاسم قلت"زيد قد فعل" و "أنا فعلت" اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل؛أي الاهتمام بالفاعل المقدم وسبب الاهتمام أمران: أحدهما "أن يكون الغرض تخصيص ذلك الفعل بذلك الفاعل كأن تقول: أنا سعيت في حاجتك ردا على من زعم أن غيرك من قام بالسعي دونك أو ردا على من زعم أن غيرك مشاركك في الأمر فتفرد نفسك به.[2] ويمثل "عبد القاهر الجرجاني" لهذا النوع و هو تقديم الفاعل لإفادة الإفراد "أَتُعَلِمُنيْ بِضِبٍ أنَا حَرَشْتُهُ"[3] وكذلك كالرد على مدّعي خلافه فإذا كان يدعي إنفراد غيره به أو مشاركته له فيه قال له:" أنا فعلته؛ أي فعلته وحدي"[4]

الثاني: أن يراد التأكيد للسامع بأن الفاعل قد فعل، وتمنعه من الشك فتبدأ بذكره ومثاله قولك هو يعطي الجزيل ويحب الثناء: فأنت لا تريد أن تقصر الفعل عليه هو

---

[1] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ، ص128.

[2] عبد العاطي غريب علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت–لبنان، 1413هـ، 1993م، ص132،131.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص128.

[4] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق– سوريا، الدار الشامية، بيروت–لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م، ص364.

وحده، ولا أن تنفيه عن غيره، وإنما تريد أن تحققه وتمكنه في نفس السامع، وتدفع الشك، وهو إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه.[1]

إذن هو ليس لإفراد الفعل بالفاعل، بل للتحقيق على السامع بأن الفاعل قد فعل ذلك تذكر الفاعل أولا للتنبيه عليه، دون أن تزعم أن آخر يقوم بالفعل وذكر "عبد القاهر الجرجاني" أمثلة منها قول الشاعر:

هُمَا يَلبَسَانِ المَجْدَ أحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيْحَانِ مَا اِسْتطَاعَا عَلَيْهِ كَلاَهُمَا

فالشاعرة لم ترد أن تخص ولديها بالفعل، وأنه لا يحدث إلا منهما، بل أرادت أن هذا الفعل من عادتهما زيادة على أنهما يلبسان المجد.[2]

وقول الشاعر:

همُ يَضْرِبُونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيَضْهُ على وجهه من الدماء سبائِب

لم يرد أن يدعي لهم الإنفراد، ويجعل هذا الضرب لا يكون إلا منهم ولكن أراد تنبيه السامع بقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث ليحقق الأمر ويؤكده[3] وهذا ما يتبين في قوله تعالى: «واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون»[4] فتقديم الضمير لم يرد به القصر، و لا نفي الفعل عن آخر، وإنما قصد به تأكيد ثبوت الفعل للفاعل ومنع الشك والإنكار.[5]

فالأمثلة السابقة تدل على أن الفعل مفعول حقا؛ أي فاعل قام بالفعل لينفي الشك فيه وليس للاستبداد و الانفراد «وقد علل البلاغيون سر إفادة تقديم المسند إليه على

---

[1] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص71.

[2] عبد العاطي غريب علام، المرجع نفسه، ص71،72.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص129،130.

[4] سورة الفرقان، الآية3.

[5] عبد العاطي غريب علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، ص134.

الخبر الفعلي للتأكيد وتقوية الحكم»[1]، وأن تقديم المسند إليه تفيد التوكيد بأنه لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نوي إسناده إليه وإذا كان كذلك، فإذا قلت "عبد الله" فقد أشعرت قلب السامع أنك أردت الحديث عنه فإذا جئت بالحديث به وقد وطأت له، وقدمت الإعلام به، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقلبه قبول المتهيئ له المطمئن له، وذلك-لا محالة- أشد لثبوته، وأنفى للشبهة، وأمنع للشك فيه....لأن الإعلام بالشيء بعد التنبيه عليه ليس مثل الإعلام به بغتة إذا الإعلام به، بعد التنبيه عليه يجري مجرى تكرير الإعلام للتوكيد[2] ونفهم أنه إعلامك الشيء بغتة غفلا،ليس مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، ومن هنا قولهم «إن الشيء إذا اضمر ثم فسر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار»[3] وهذا يتضح من خلال قوله تعالى:«فإنها لا تعمى الأبصار»[4] نجد فيها فخامة وشرفا وروعة لا نجد منها شيء في قولنا "فإن الأبصار لا تعمى"

وفي قوله تعالى أيضا: «إنه لا يفلح الكافرون»[5] يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين لا نجده في مثل: "إن الكافرين لا يفلحون".

---

[1] بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة عابدين-مصر، ج1(د.ط)،(د.ت)، ص161.

[2] ينظر: عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص132.

عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص72.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص132.

[4] سورة الحج، الآية47.

[5] سورة المؤمنين، الآية134.

ويعد"عبد القاهر" أن تقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه، وأن البلغاء يستعملونه في المواضع التي تحتاج إلى توكيد منها:[1]

1-أن يجيء الكلام فيما سبق فيه إنكار منكر، نحو أن يقول الرجل: "ليس لي علم بالذي تقول" فينكر علمه، فتقول له، أنت تعلم أن الأمر على ما أقول، فتقدم الفاعل وتقول هو يعلم ذلك...وإن أنكره جاء في قوله تعالى: «ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون»[2] أي يعلمون كذبهم، ولا شك أنهم ينكرون الكذب وينكرون تبعا لذلك علمهم بكذبهم.

2-أن يجيء فيما اعترض فيه الشك كأن يقول لك قائل كأنك لا تعلم ما صنع فلان، ولم يبلغك" فيظهر بشكه في علمك فتقول: أنا أعلم ما صنع، ولكني أداريه".

3-أنه يجيء في خبر كان على خلاف العادة، وفيما يستغرب من الأمور نحو أن تقول: ألا تعجب من فلان يدعي الشجاعة وهو يفزع من أدنى شيء.

4-في الوعد والضمان: كقول الرجل، أنا أعطيك، أنا أكفيك أنا أقوم بهذا الأمر فهو يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به، فهو أحوج شيء إلى التأكيد.

5-في المدح والفخر، نحو هو يعطي الجزيل، وأنت تجود حين لا يجود أحد، بحاجة إلى التوكيد لأن من شأنه أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح، ويباعدهم من الشبهة وكذلك المفتخر.

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص من 133 إلى 136.
عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص من 73 إلى 78.
بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل علم المعاني، ص ص164،163،162.

[2] سورة آل عمران ،الآية75.

هذه المواضع يقع فيها الشك، أي الشك في وقوع الفعل على الفاعل من عدمه أما الفعل الذي لا يشك فيه و لا ينكر بحال مثل قولك إذا أخبرت بالخروج مثلا عن رجل من عادته الخروج قلت "قد خرج" و لا تقول هو قد خرج لأنه ليس بحاجة إلى توكيد، لأن السامع لم يشك فيه وكذلك إذا أخبرت عمن عزم على الركوب ولم يكن شك وتردد في ركوبه قلت "قد ركب" و لا تقول هو قد ركب، إلا إذا جاء في صلة الكلام، ووضع بعد واو الحال حسن حينئذ تقديم الاسم مثل قولك: جئته وهو قد ركب، لأن الوضع تغير و أصبح الأمر بمعرض الشك.

ليس من الخطأ أن تقول "جئته وقد ركب" لكن الشك يكون في "جئته وقد ركب"أقوى من "جئته وهو قد ركب".

ويجيء أيضا بعد واو الحال كقولك: "أتانا والشمس قد طلعت" وذلك أبلغ في استبطائك له من أن تقول: "أتانا وقد طلعت الشمس"[1] وعكس هذا أنك إذا قلت "أتى والشمس لم تطلع" كان أقوى من وصفك له بالعجلة والمجيء قبل الوقت الذي ظن أنه يجيء فيه من أن تقول: "أتى ولم تطلع الشمس بعد"[2] فالجملة "أتانا و الشمس قد طلعت" أبلغ من الجملة "أتانا وقد طلعت الشمس" فالمعنى هو المرجع الذي يستند إليه" الجرجاني".

وأحوال الفعل المنفي في الجملة الحالية كأحواله في المثبتة "فإذا قلت: أنت لا تحسن هذا كان أشد لنفي الإحسان عنه من أن تقول لا تحسن هذا ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجابا بنفسه.[3]

فقولك أنتلا تحسن هذا أشد لنفي الإحسان عنه من قولك لا تحسن هذا.

---

[1] صابر يوسف نجار،الإعجاز اللغوي بين الجرجاني الزمخشري في كتابيهما دلائل الإعجاز والكشاف ، ص66.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص136.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص138.

4 ــ 5 ــ تقديم "مثل وغير":

يرى "*عبد القاهر الجرجاني*" وجوب تقديم "مثل"و" غير" نحو قول الشاعر:

مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه[1]

فالمتنبي لا يقصد أن هناك شخصا يماثل المخاطب في منع الدمع عن انهماله وإنما يريد المخاطب بعينه، ومثل قول الناس كذلك: مثلك "رعى الحق والحرمة" وفي هذا التعبير لا يقصد أن هناك أناسا لا يتصفون بهذه الصفة لكن أراد أن يقول أن المخاطب من يتصف بهذه الصفة، وأن من كان مثل المخاطب في الحال والصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر أو لا يفعل.[2]

إذن "مثل" "غير" يجب تقديمهما على الفعل لأن المعنى لا يستقيم إذا لم يقدما يقول"عبد القاهر الجرجاني": « يثني الحزن عن صوبه مثلك، رعى الحق والحرمة مثلك، وينخدع غيرك بأكثر هذا الناس، ويأكل غيري المعروف سحتا....رأيت كلاما مقلوب على جهته ومغيّرا عن صورته، ورأيت اللفظ نبا عن معناه، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه».[3]

4 ــ 6ــ تقديم النكرة:

وقف "عبد القاهر الجرجاني" عند النكرة عندما تتقدم على الفعل، أو يقدم الفعل عليها، ورأى أنك «إذا قلت: "أجاءك رجل"، فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من واحد من الرجال إليه، فإذا قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك، فأنت تسأله عن جنس

[1] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص138.

[2] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص82.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص140.

من جاء أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذاك الآتي».[1]

ففي قولك :أجاءك رجل؟ إذا أردت أن تسأل هل كان مجيء من واحد من الرجال إليه.أرجل جاءك: إذا أردت أن تسأل عن جنس من جاءه أرجل أم امرأة والمجيء حاصل يكون تقديم النكرة إذا أردت أن تسأل عن الفاعل، و السؤال عن الفاعل يكون عن عينه أو جنسه.

فإذا قلت "أرجل طويل جاءك أم قصير؟" كان السؤال عن أن الآتي كان من جنس طوال الرجال أم قصارهم.[2]تقديم رجل إذا كنت تريد الإخبار عن من أتاك أنه رجل لا امرأة إذا كان يعلم أن هناك آت، كذلك بالنسبة للمثال "رجل طويل جاءني"، و"شرُ أهَرُ ذا نابٍ"[3]

مما تقدم فإن نظرة "عبد القاهر الجرجاني" للتقديم والتأخير كانت نظرة شاملة فقد بين التقديم والتأخير في تقديم المفعول في الاستفهام بأنواعه، وفي النفي كما بين التقديم والتأخير في تقديم المفعول، والجار و المجرور والخبر المثبت، وتقديم "مثل" و"غير" وتقديم النكرة، وبين الدور الهام في تحديده للمعنى الذي يريد المتكلم إيصاله للسامع، ففي الاستفهام بالهمزة عندما يليها فعل ماض يختلف المعنى عندما يليها الاسم، وهكذا ومبحث التقديم والتأخير من المباحث الأساسية في علم البلاغة العربية فهو واحد من الأركان التي يقوم عليها علم المعاني.

---

[1] صابر يوسف نجار،الإعجاز اللغوي بين الجرجاني الزمخشري في كتابيهما دلائل الإعجاز والكشاف ، ص66.

[2] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص142.

[3] مي الأحمر، التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة ، ص84.

الفصل الثاني

التداولية

1ــ التداولية

أــ لغة:

الجذر اللغوي لمصطلح التداولية هو الفعل الثلاثي دول، فقد ورد في لسان العرب:« دول: الدولة و الدولة: العقبة في المال و الحرب سواء، و قيل: الدولة بالضم، في المال، و الدولة بالفتح، في الحرب، و قيل: هما سواء فيهما. الدولة بالضم: اسم الشيء الذي يتداول به بعينه.و الدولة اسم الشيء الذي يتداول، و الدولة الفعل و الانتقال من حال على حال». [1]

كما جاء في أساس البلاغة:« دالت له الدولة، و دالت الأيام بكذا، و أدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة بهم عليه، و الله يداول الأيام بين الناس مرة لهم، و مرة عليهم.[2]

و من هذا المفهوم اللغوي فكلمة تداولية تعني: التحول و الانتقال من حال إلى حال، ويعني هذا المشاركة و التفاعل، و هذا قريب من مفهوم التداولية التي تعني بالتفاعل بين المتكلم و المتلقي.

ب ــ اصطلاحا:

إن أقرب حقل معرفي للتداولية هو اللسانيات« و قد قوبلت التداولية كمصطلح عربي بمصطلح "pragmatics" *الأجنبية و الذي كان الفضل في وضعه إلى "طه عبد الرحمن" منذ سنة 1970 م و قد حضي بالإجماع و التداول ».[3]

---

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة (د.و.ل) ، ص 433.

2 الزمخشري، أساس البلاغة ، تحقيق باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1419 هـــ، 1998 م ، ص 303.

* يعود مصطلح pragmatics في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس Charles Morris سنة 1988.

[3] إدريس مقبول،الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد،عمان – الأردن، ط 1 ، 2006 م ، ص 262.

« و هناك من الباحثين في المشرق ما يزالون يستعملون مقابلات مختلفة مثل: الذرائعية و البراغماتية و النفعية و الوظائفية و علم التخاطب ...الخ و هي ترجمات غير موفقة ولا ترقى لترجمة "طه عبد الرحمن" على حد تعبير إدريس مقبول ».[1]

اختلف الباحثون في ترجمة المصطلح إلا أنه هيمن مصطلح التداولية كمقابل عربي للمصطلح الأجنبيpragmatique أدى هذا الاختلاف إلى الاختلاف في وضع تعريف محدد، و قد اكتسبت التداولية عددا من التعريفات حسب اهتمام الباحثين و توجهاتهم ومنطلقاتهم فراحوا يسوقون تعريفات لهذا المصطلح. و كان أقدم تعريف لها، تعريف شارل موريس (C.Mouris) سنة 1983 م « الذي يقرر فيه كونها جزءا من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات»، كما يعرفها "آن ماري دبير" (A.M.Dire) و "فرانسواز ريكاناني " (F.Riccanati) بقولهما:« التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية و بعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها» و عرفها فرانسيس جاك (F.Jack) بقوله:« تتطرق التداولية إلى اللغة الخطابية والتواصلية والاجتماعية معا»[2] ، تهتم التداولية بدراسة العلاقة القائمة بين العلامات و مستعمليها و هي ذات صلة أو جزء من السيميائية؛ أي لها علاقات بعلوم أخرى و هذا ما يقر به "مسعود صحراوي"في كتابه "التداولية عند علماء العرب" في قوله :« بأن التداولية ليست علما ولكنها علم جديد للتواصل في مجال الاستعمال و يدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي و تفسيره».[3]

---

[1] إدريس مقبول، المرجع السابق ، ص 262.

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد عليوش، مركز الإنماء القومي، الرباط –المغرب ، (د،)، (د، ت)، ص 8.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت –لبنان ، ط 1 ، 2005 م ، ص 16.

و تفسير ظاهرة التواصل اللغوي؛ أي معرفة المعنى المقصود و ذلك بالخروج من المعنى اللغوي إلى المعنى الدلالي و هذا ما يؤكده "الجيلالي دلاش" في كتابه "مدخل إلى اللسانيات التداولية " بقوله:« إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم و خطاباتهم كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث». [1]

تأويل الخطاب يعني تفسيره و الوصول إلى معرفة المعنى و الدلالة أثناء العملية التواصلية و هذا ما نجده عن "محمود أحمد نحلة" في قوله « التداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإن اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق truth condition فإن التداولية تعني ما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط».[2]

و هناك تعريفات أخرى للتداولية نجدها في كتاب " فيليب بلانشيه" "التداولية من أوستن إلى غوفمان"[3]: «أنها تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، و تنظر في الوسميات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي، كما تحد التداولية بكونها دراسة للغة ظاهرة خطابية تواصلية و اجتماعية، في الوقت نفسه » و تعرف أيضا كالتالي:« هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، و يهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل»؛أي إن التداولية فرع من اللسانيات تهتم بدراسة العلاقات القائمة بين أطراف العملية التواصلية التي تتضمن (المتكلم المستمع ، ...)؛ أي دراسة اللغة في التواصل.

---

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر ، 1992 م ، ص 01.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية –مصر،(د.ط) ،2002 م ، ص7.

[3] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تعريب صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ط1 ، 2012 ، ص 9 ، 10.

تعددت التعريفات للتداولية و تنوعت بين الباحثين و نجد هذا التنوع و التعدد عند الباحث نفسه كما عند" ليفنسون" .Levinson.S منها :[1]

التعريف الأول مادام التركيب دراسة للخصائص التأليف بين الكلمات، و الدلالة بحث في المعنى و ما يعكسه من أشياء (ملموسة أو مجردة)، فإن التداولية دراسة للاستعمال اللغوي langage usage الذي يقوم به أشخاص لهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة هذا التعريف مماثل لتعريف "شال موريس" الذي يقرر فيه كونها جزء من السيميائية و هي دراسة للاستعمال اللغوي لمجموعة من الأشخاص تربطهم معارف ووضعيات اجتماعية معينة.

التعريف الثاني: « التداولية دراسة للمبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم».

ربطت التداولية بالإدراك أو القدرة على فهم الجمل الغريبة أو غير الصحيحة كما عدها من جهة أخرى دراسة للغة في إطارها الوظيفي في قوله:« دراسة للغة في إطارها الوظيفي أو من وجهتها الوظيفية، و هذا يعني شرح و فهم البنيات اللغوية بالاعتماد على علل و استدلالات غير لغوية ».

وربطها بالسياق في قوله:« التداولية دراسة العلاقات بين اللغة و السياق، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة».

و هذا ما أكده "صلاح إسماعيل" في كتابه" نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس "« هي دراسة لغوية تركز على المستعملين اللغة و سياق استعمالها في عملية التفسير اللغوي بجوانبها المتنوعة». [2]

---

[1] إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص 264 ، و ينظر نور الدين أجعيط ، تداوليات الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط 1 ، 2012 م ، ص 51، 52.

[2] صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية، نصر–القاهرة ، (د.ط) ، 2005م، ص 77.

التداولية تعني العلم الذي يسعى إلى دراسة علاقات العلامات بمفسريها أو بعبارة أبسط تهتم بطريقة توصيل معنى اللغة الطبيعية أو العادية بين متكلم تصدر عنه رسالة، وسامع يتلقى هذه الرسالة ليفسرها، فهي دراسة اللغة في الاستعمال و التواصل.

إذن فالتداولية تلتفت « إلى دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله».[1]

و تطرح التداولية من التساؤلات ما هو جوهري في البحث عن عمليات الفهم و التفسير والتأويل:« ماذا نصنع حين نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بذلك، بينما يظهر واضحا أن في إمكانه ذلك ؟ فمن يتكلم إذن ؟ إلى من يتكلم ؟ من يتكلم و مع من ؟ من يتكلم و لأجل من ؟ (...) كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ ».[2]

و هذا يعني أن الحقل التداولي « يهتم بالبعد الاستعمالي و الإنجازي للكلام، و يأخذ بعين الاعتبار المتكلم و المخاطب و السياق، و ما يقوم من تواصل في الخطابات في عمليات الفهم الأولي، متبوعة بعملية التأويل».[3]

و التمعن في التعريفات السابقة يوصلنا إلى أنها تجمع على أن هذه الأخيرة (التداولية) تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال و هذا يدل دلالة واضحة على وجود متكلم و مستمع وقناة تواصل و لعل أوجز تعريف لها هو:« دراسة اللغة في الاستعمال use أو في التواصل »[4]؛ و بمعنى آخر فإن الدراسة التداولية لا تكتفي بالوصف و التفسير عند حدود

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 22.

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 07.

[3] محمد بلقاسم، محمد يكأي، ميكانيزمات الاشتغال الذهني في فهم و تأويل الخطاب مقاربة معرفية تداولية، مجلة مقاليد، ع 3 ، ديسمبر 2012 ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، ص 63.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 13.

البنية اللغوية أو المستوى الشكلي لها، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق، وأكثر استيعابا للظاهرة اللغوية بكل أبعادها التواصلية.

2ــ موضوعات التداولية :

استطاع الباحثون أن يتناولوا بعض موضوعات التداولية هذه الأخيرة تتناول اللغة بوصفها ظاهرة خطابية و اجتماعية و تبليغية.

و سنتناول في هذا الفصل بشيء من الشرح بعض الموضوعات أو آليات التداولية منها الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية.

2ــ 1ــ الافتراض المسبق :

الافتراض المسبق أو الاضمارات التداولية pre-suposition مفادها انطلاق المخاطبين من معطيات معرفية قاعدية لتحقيق الفهم[1] فعند« كل عملية من عمليات التبليغ، ينطلق الأطراف (المتخاطبون) من معطيات أساسية معترف بها و معروفة و هذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون و هي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التبليغية ».[2]

الافتراض المسبق هو المعطيات و الافتراضات المعترف بها، و المتفق عليها من طرف المشاركين في العملية التواصلية حيث تعتبر هذه الافتراضات المسبقة الأساس في نجاح العملية التواصلية ففي مثل قولك :

أغلق النافذة

لا تغلق النافذة

يتمثل الافتراض المسبق هنا كون النافذة مفتوحة.

مثال آخر: لنتصور الحالة التالية: يقول الطرف الأول إلى الطرف الثاني: كيف حال

---

[1] نعمان بوقرة ، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع إربدـَ الأردن،ط1،1430ه،2009م، ص 195.

[2] الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 34.

زوجتك ؟ و أولادك ؟

إن هذا يفترض بأن الطرف الثاني متزوج و له أولاد كما يفترض بأن العلاقات القائمة بين هذين الشخصين تسمح بطرح مثل هذه الأسئلة، يرد الطرف الثاني قائلا:

هي بخير شكر

الأطفال في عطلة .[1]

من خلال الافتراضات المسبقة نتمكن من التفاعل أو الاستجابة للعملية التواصلية؛ أي لدينا افتراض أن الرجل متزوج و لديه أولاد، هذا الأخير الذي سمح لنا بطرح السؤال. أما لو كانت الخلفية الإخبارية غير مشتركة بين المتكلمين فإن الطرف الثاني قد يتجاهل السؤال

و تكون الإجابة كالآتي:

أنا لا أعرفك –أنا لست متزوج.

–لقد طلقت زوجتي[2]

إن الافتراض المسبق ذو طبيعة لسانية بمعنى أنه يتم إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمنها القول، و يعرفه "ديكرو"« العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام ، هل؟ أو إلى نفي لا» [3] و مثال ذلك :

أ–انقطع زيد عن التدخين .

تحويله إلى استفهام يعطينا

ب–هل انقطع زيد عن التدخين ؟

ثم نفيه

ج–لم ينقطع زيد عن التدخين

---

[1] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر– الجزائر، ط 2 ، 2006 م ، ص 160.

[2] خولة طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 161.

[3] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، شارع الإخوة مسلم – الجزائر ، ط 1 ، 2003 م ، ص 113.

و الافتراض المسبق هي: أن زيدا كان يدخن.

و يعرف "أوركيوني" الافتراض المسبق أنه « المعلومات و إن لم يفصح عنها (غير مصرح بها) فإنها و بطريقة آلية واردة و مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا بغض النظر عن خصوصية و إطار الحديث الذي يتجلى فيه »[1].

فالافتراض المسبق متضمن في القول؛ أي موجود فيه حتى و إن لم يصرح به فهو موجود بطريقة آلية في الحديث فتوجد صعوبة في تحديده لذلك نبه "محمود أحمد نحلة" لمن يخوض في دراسة هذا الأخير إلى أمرين:[2]

أولهما: يجد الباحث في هذا الموضوع الرأي و نقيضه، ووجود غموض و لبس في الآراء و كثرة الأبحاث التي يتناولها هذا الموضوع.

الثاني: التمييز بين الاستعمال العام للفظ الافتراض المسبق في لغة الحياة اليومية والاستعمال الاصطلاحي في الدرس التداولي الذي هو أضيق مدى من الاستعمال العام.

و قد ميز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقة:[3]

الافتراضات المسبقة الدلالية، و الافتراضات المسبقة التداولية.

و للتمييز بينهما اعتمدت قضية الصدق و الكذب أساسا لذلك، فالأول مشروط بها، فإذا كانت القضية (أ) صادقة يجب أن تكون القضية (ب) صادقة أيضا، ففي المثال: "إن المرأة التي تزوجها زيد كانت أرملة ". و كان هذا القول صادقا لزم صدق القول الآخر وهو: زيد تزوج أرملة.

أما الافتراضات التداولية فهي غير مشروطة بقضية الصدق و الكذب فإذا قلت مثلا ""سيارتي جديدة" ثم قلت سيارتي ليست جديدة على الرغم من التناقض في القولين فإن الافتراض المسبق و هو أن لك سيارة قائم في الحالتين.

---

[1] عمر بلخير، المرجع السابق، ص 114.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 27.

[3] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 35 ، ينظر محمود أحمد نحلة، المرجع السابق،ص 29.

يلعب الافتراض المسبق دورا هاما في عملية التواصل ونجاحها يتعلق بوجود خلفية مشتركة من الافتراضات المسبقة تكون معروفة عند السامع و المتكلم معا. فبذلك لم تأت بالجديد؛ أي لم تقدم معرفة جديدة « إن علم طرفي الخطاب بالافتراض المسبق لا ينفي أهميته و لا ينقص من قيمته ذلك أنه يمثل القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الخطاب في تماسكه العضوي»[1] يقول "ديكرو" « أما الافتراضات المسبقة كانت لها وظيفة فهي تمثل الشرط الأساس للتماسك العضوي للخطاب »[2].

تشكل الافتراضات المسبقة خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التواصلية في حين يؤدي الافتقار إلى مجموعة هذه الافتراضات المسبقة إلى سوء التفاهم في العملية التواصلية.

و من أمثلة الافتراض نجد عند" محمود أحمد نحلة" في العربية منها:

أ-زيد اغتيل سنة 1868.

ب-زيد قتل سنة 1868.

فاستخدام الفعل "اغتيل" في الجملة (أ) يتضمن افتراضا سابقا بأن زيدا كان شخصية سياسية بارزة، لكن هذا الافتراض غير متحقق في الفعل قتل في الجملة (ب).

2 ــ 2ــ الاستلزام الحواري:

يعد الاستلزام الحواري من أهم المبادئ التداولية، و تعود نشأة البحث في هذا الموضوع إلى المحاضرات التي دعا "غرايس" H.P.Grice إلى إلقاءها في جامعة "هارفارد" سنة 1967 م. فقدم فيها بإيجاز تصوره و الأسس التي يقوم عليها هذا الدرس، و كانت محاضراته "المنطق و الحوار"logic and conversation"، منطلقا فيها من مبدأ أن الناس في حديثهم قد يقولون ما يقصدون و قد يقصدون أكثر مما يقولون، و قد

1 دلال وشن، الإفادات و المقاصد التبليغية في النحو العري من منظور اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير(مخطوطة) إشراف محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر ، 2008 ، 2009 ، ص 22.

[2] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ص115

يقصدون عكس ما يقولون، فجعل جهده منصبا في إيضاح الاختلاف بين ما يقال what is said وما يقصد What is meant. فما يقال هو ما تحمله الألفاظ و الكلمات و الجمل من معاني (معنى حرفي) و ما يقصد هو ما يريد المتكلم إيصاله و تبليغه للسامع بطريقة غير مباشرة معتمدا في ذلك على قدرة السامع في الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال فأراد "غرايس" أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح، و ما يحمله من معنى متضمنا فنشأت عنده فكرة الاستلزام implicature[1]، إن الاستلزام يقوم على تعدد المعنى الذي يقدمه المخاطب إذ تحمل العبارة معنيين أحدهما ظاهر و حرفي دلالي، و ثانيهما قضوي يستلزمه بشكل غير ظاهري.[2]

و من هذا ميز "غرايس" بين نوعين من الاستلزام[3] استلزام حرفي conventional implicature، و استلزام حواريconversational implicature .

استلزام حرفي: و يتمثل فيما يتعارف و اصطلح عليه أصحاب اللغة الواحدة من دلالات و معان لألفاظ بعينها فهي لا تتغير بتغيير السياقات و التراكيب مثل "لكن" في العربية التي تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع مثل: زيد غني لكنه بخيل.

أما الاستلزام الحواري: فهو متغير بتغير السياقات التي يرد فيها؛ أي إن المعنى الضمني في كلام المتكلم، و لا يمكن إدراكه إلا إذا كان المخاطب لديه نوعا من الاستدلال و مثال ذلك: يسأل أحد الآباء أحد الأساتذة من أجل التوجيه الصحيح لابنه: هل هذا الطالب مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟ فيجيبه الأستاذ: إن هذا الطالب لاعب كرة قدم ممتاز، لاحظ "غرايس" أن الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ تحمل معنيين أحدهما حرفي و آخر مستلزم: المعنى الحرفي هو أن الطالب ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة.[4]

---

[1] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص 115.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 32 ، 33.

[3] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة ، ص 196.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 33.

فالمعنى الأول هو المعنى الحرفي؛ أي الاستلزام الحرفي و المعنى الثاني هو المعنى المستلزم.

هذا ما شغل "غرايس" و حاول تفسيره؛ أي كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا و يعني شيئا آخر ؟ ثم كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئا و يفهم شيئا آخر.و قد تمكن من إيجاد حل لهذا الإشكال فيما أسماه "مبدأ التعاون"co-operative principle بين المتكلم و المخاطب و هو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ maxins فرعية هي:[1]

1/مبدأ الكم: يرتبط مبدأ الكم بكمية المعلومات التي يجب تقديمها في التخاطب، و تتحقق بقاعدتين :

-اجعل إسهامك التخاطبي بالقدر المطلوب (بغية تحقيق الأغراض الحالية للتخاطب)

-لا تجعل إسهامك التخاطبي إخباريا أكثر مما هو مطلوب.

2/مبدأ الكيف: و تحت هذا المبدأ تأتي قاعدة عامة حاول أن تجعل إسهامك التخاطبي صادقا، و تتجلى في قاعدتين:

1-لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.

2- لا تقل ما تفتقر إلى دليل كاف عليه.

3/مبدأ الإضافة: تحت هذا المبدأ توجد قاعدة واحدة تقول:

-كن ملائما

4/مبدأ الجهة: ينظر "غرايس" إلى هذه المقولة على أنها لا ترتبط بالمقول مثل المبادئ السابقة، و إنما ترتبط بالأحرى بكيفية قول المقول و القاعدة العامة التي تمثل هذا المبدأ هي "كن واضحا"، و يندرج تحتها قواعد متنوعة مثل :

1-اجتنب غموض التعبير.

---

[1] ظريفة ياسة، الوظائف التداولية في المسرح مسرحية "صاحبة الجلالة" لتوفيق الحكيم نموذجا، رسالة ماجستير ، (مخطوطة)إشراف فريدة بوسماحة ، جامعة منتوري -قسنطينة،2009م،ص24

2-اجتنب اللبس.

3-كن موجزا (اجتنب الإطالة بغير ضرورة).

4-كن مرتبا.

و المثال الآتي يوضح هذه القواعد في الحوارين الأب و الأم.

الأب : أين الأولاد ؟

الأم :إما أنهم يلعبون أسفل المبنى أو ذهبوا لشراء بعض الأشياء، و لست متأكدة أين هم على وجه الدقة.

هنا نلاحظ أن الأم قدمت القدر الصحيح المطلوب من المعلومات (الكم)

و أجابت بصدق (الكيف)

و أدركت هدف زوجها من طرح السؤال و اتجهت بإجابتها نحوه؛ أي إن الإجابة هنا ملائمة (الإضافة).

و جاءت إجابتها واضحة (الجهة)

و في هذه الحالة لا يوجد استلزام حواري طالما أنه لا يوجد تمييز بين ما قالته و ما تعنيه.[1]

أما الحوار الثاني : بين الأم (أ) وولدها (ب)

أ-هل اغتسلت ووضعت ثيابك في آلة الغسيل ؟

ب-اغتسلت.

في هذا الحوار انتهاك لمبدأ"الكم" لأن الأم سألت عن أمرين و الولد أجاب على واحد وسكت عن الثاني؛ أي إن إجابته أقل من المطلوب، و هذا يستلزم أن الأم قد فهمت أنه لم يضع ثيابه في آلة الغسيل و أنه لم يرد "بنعم" حتى لا تشتمل الإجابة شيئا لم يقم به.

إذن فالاستلزام الحواري هو ناتج عن انتهاك أحد مبادئ التعاون. قد ينتهك "الكم" كما رأينا في المثال السابق أو مبدأ الكيف أو مبدأ الإضافة أو مبدأ الجهة" فغرايس"« يقترح أن

[1] صلاح إسماعيل ، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس ، ص 88.

توصف ظاهرة الاستلزام الحواري انطلاقا من مبدأ التعاون و القواعد المتفرعة عنه باعتبار أن مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربعة مع احترام المبدأ العام مبدأ التعاون».[1]

و لقد قسم "غرايس" الجمل من حيث حمولتها الدلالية إلى معاني صريحة و معاني ضمنية[2]:

أ-**المعاني الصريحة:** هي المعاني المفهومة من تركيب الجملة مباشرة أو القوة الإنجازية الحرفية المباشرة و من صيغها النفي، الاستفهام، و النداء .

ب- المعاني الضمنية: و هي التي تعرف دون النظر في التركيب الوضعي للجملة بل يتحمله السياق في إبرازها و معرفتها و الدلالة عليها و تنقسم بدورها إلى:

1-معاني اصطلاحية: تلازم الجملة في مقام معين مثل دلالة الاقتضاء.

2-**معاني حوارية:** تتغير بحسب السياقات التي ترد فيها الجملة مثل الدلالة الاستلزامية وللاستلزام الحواري -عند غرايس- خواص تميزه عن غيره هي:[3]

1ــ الاستلزام يمكن إلغاؤه و ذلك بإضافة كلام ينفي الاستلزام الأول مثل قول قارئة لكاتب: لم أقرأ كل كتبك.

2ــ الاستلزام لا يقبل الانفصال لأنه متصل بالمعنى الدلالي و ليس بالصيغة اللغوية التي يرد فيها فلا يتغير باستبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها.

3ــ الاستلزام متغير؛ أي إن التعبير الواحد يؤدي إلى استلزامات مختلفة.

4ــ الاستلزام يمكن تقديره، كما في التعبير الاستعاري، فالمخاطب يفهم الكلام دون اللجوء إلى المعنى الحرفي و ذلك من خلال العمليات الذهنية الاستنتاجية التي يقوم بها.

مبدأ التأدب :

1أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء- المغرب ، ط 1 ، 1406 هـ ، 1986 م ، ص 95

[2]مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب،ص39.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 38.

لقد رأت " روبين لانكوف" " Robin Lankoff" أن اهتمام "غرايس" كان منصبا على صياغة إطار لتفسير و تبرير عدم مطابقته معنى المتكلم للدلالة الحرفية التي يعبر بها و لم يول الاهتمام للقواعد التي تبلور كيفية التعامل بين طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه) فأضافت لمبدأ التعاون مبدأ أسمته مبدأ التأدب و يعد « المبدأ التداولي الثاني بعد مبدأ التعاون، و قد أوردته "روبين لانكوف" في مقالتها الشهيرة "منطق التأدب" و يقضي هذا المبدأ التزام طرفي المناظرة "ضوابط التهذيب"[1].

فمبدأ التأدب يهدف إلى نجاح عملية التواصل بين طرفي الخطاب، ووضعت قاعدتين أسمتهما "قواعد الكفاءة التداولية"، و صاغتهما كما يلي: كن واضحا، كن مؤدبا .[2]

يكون المرسل واضحا إذا كان يسعى إلى إبلاغ المتكلم؛ أي تواصل مباشر و يكون مؤدبا إذا كان يريد التعبير عن ما يكنه للمرسل.

و يتفرع عن مبدأ التأدب ثلاث قواعد سمتها "قواعد تهذيب الخطاب":

1- **قاعدة التعفف:** و تتطلب من المرسل بأن لا يتطفل على آخر و ألا يفرض نفسه عليه.

2- **قاعدة التخير:** و تتمثل في عدم السيطرة على الآخر و ترك الحرية في اتخاذ قراره.

3- **قاعدة التودد:** تودد المرسل إلى المرسل إليه فتنشأ بينهما صداقة تخاطبية.[3]

2 ــ 3 ــ الأفعال الكلامية :

يطلق عليها أيضا الحدث الكلامي و هي ترجمة للعبارة الانجليزية speech act theory أو العبارة الفرنسية la théorie des actes de parole و لهذه النظرية

[1] نور الدين أجعيط ، تداوليات الخطاب السياسي ، ص 83.

[2] خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ص 166.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 99.

ترجمات أخرى في اللغة العربية مثل نظرية الحدث اللغوي، و النظرية الإنجازية و غيرها من الصيغ والعبارات[1]، و تتبوأ نظرية أفعال الكلام مكانة مرموقة في الدرس التداولي المعاصر و قد كانت لتيارات الفلسفة التحليلية دورا بارزا في نشأتها منها " أوستن" الذي ألقى سلسلة من المحاضرات في جامعة "أكسفورد" بين عامي 1952 م و 1954 م كما ألقى مجموعة أخرى من المحاضرات في جامعة "هارفارد" عام 1955 م و قد جمعت المحاضرات الأخيرة في كتاب طبع بعد وفاته عام 1962 م ، عنوانه "كيف نفعل الأشياء بالكلمات؟ "

How to do things with words[2]و يتلخص فكر "أوستن " في نقطتين أساسيتين هما:

أ–رفض ثنائية الصدق و الكذب.

ب–الإقرار بأن كل قول هو عن عبارة فعل أو عمل .[3]

بمعنى« رفضه أن تكون اللغة مجرد وصف للوقائع الخارجية يحكم على مقولاتها بالصدق أو الكذب بالنظر إلى المطابقة أو عدمها، عادا ذلك الموقف الفلسفي مغالطة وصفية »[4]؛ أي إن اللغة ليست مجرد وصف للوقائع الخارجية بطريقة إخبارية ثم يكون الحكم بعد ذلك على العبارات المستعملة بالصدق أو الكذب بحسب مطابقتها للواقع. و يرى "أوستن" أن هناك عبارات تشبه في التركيب العبارات الوظيفية في تركيبها و لكنها لا تصف شيئا في الواقع الخارجي و لا تحمل الصدق أو الكذب ففي قولك مثلا: أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان، فهذه العبارة و أمثالها كثير لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، و لا توصف بالصدق أو الكذب .[5]

---

[1] العيد جلول ، نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل ، مجلة الأثر ، العدد الخاص ، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة – الجزائر ، ص 55.

[2] محمد محمد يوسف علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي– ليبيا ، ط1 2004 م ، ص 34.

[3] الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 33.

[4] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة،ص186.

[5] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 44.

من هذا فإن نشأة الأفعال الكلامية باعتبارها نظرية كانت على يد "أوستن "من خلال محاضراته التي كانت عبارة عن رد على فلاسفة الوضعية الذين اعتبروا أن وظيفة اللغة تكمن في الوصف الخارجي فقط و الحكم بالصدق أو الكذب بحسب مطابقتها للواقع.

و قد ميز "أوستن" بين نوعين من الأفعال:[1]

1-**أفعال إخبارية constative** : و هي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي ويحكم عليها بالصدق أو الكذب.

2-**أفعال أدائية (أو إنشائية) :performative** : تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدي، و لا توصف بصدق و لا كذب فهي تستخدم لإنجاز فعل مثل قولي: "أرجو منك المعذرة ". فهذا القول يعبر في الوقت نفسه أن ثمة طلب المعذرة فضلا عن كوني أعرب عن رجاء، فالعبارة بالتالي لا تخضع لمقياس الصدق أو الكذب و يدخل فيها: التسمية و الوصية، و الاعتذار، و الرهان، و النصح و الوعد.

و لا تكون الأفعال الأدائية « موفقة عنده إلا إذا تحققت لها شروط الملاءمة فإذا لم تتحقق كان ذلك إيذانا بإخفاق الأداء و شروط قياسية، و هي ليست لازمة لأداء الفعل».[2]

فالشروط الملائمة ضرورية لتحقيق الأداء في حين الشروط القياسية ليست لازمة لأداء الفعل بقدر الشروط الملاءمة لكنها بعدم وجودها يكون هناك نقص في الأداء الفعلي فهي مكملة لتحقيق صورة مثالية و صحيحة.

و هذه الشروط هي الشروط التكوينية:[3]

1-وجود إجراء عرفي مقبول كالزواج أو الطلاق.

2-تضمن الإجراء نطق لكلمات معينة من طرف الأشخاص معينين في ظروف معينة .

---

[1] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ص156.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 44.

[3] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة،ص186.

3- أن يكون الشخص المنجز مؤهلا لهذا الإجراء.

4-أن يكون التنفيذ صحيحا .

5- أن يكون التنفيذ كاملا.

و أما الشروط القياسية فهي:

1-أن يكون الشخص المشارك في الفعل صادقا في أفكاره و مشاعره و نواياه.

2-أن يلتزم بما يلزم نفسه به.

و سرعان ما تنبه "أوستن" إلى هذه التقسيمات و الشروط التي وضعها للتمييز بين الأفعال الإخبارية و الأفعال الأدائية لأنه رأى أن شروط الأفعال الأدائية تنطبق أحيانا على أفعال غير أدائية، فأعاد السؤال الذي انطلق منه: "كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا "؟[1]وفي محاولة إجابته عن هذا السؤال رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا و تؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي و لا يمكن تجزئتها أو فصلها إلا من قبيل التيسير الإجرائي قصد الفهم و الدراسة فقط.[2]و هذه الأفعال هي:[3]

أ-**الفعل اللفظي:** يمثله انتظام الأصوات المنطوقة في السلسلة الكلامية وفق تأليف نحوي يحقق معنى يحيل إلى مرجع معلوم بمعنى أصوات + تركيب +دلالة.

ب-**الفعل الإنجازي:** المعنى الإضافي المؤدي خلف المعنى الأصلي أو الحرفي المتضمن في القول.

ج-**الفعل التأثيري:** الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في التسامح سواء كان سلوكيا ظاهرا أو لغويا .

---

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 45.

[3] العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، ص 58.

[4] نعمان بوقرة ، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، ص 186.

و قد فطن "أوستن" إلى أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، و الفعل التأثيري لا يلزم كل الأفعال لأن من هذه الأفعال ما لا يؤثر في السامع. و كان اهتمامه على الفعل الإنجازي حتى صار لب هذه النظرية و أصبحت تعرف به فتسمى أحيانا "النظرية الإنجازية".[1]

إذن يعد الفعل الإنجازي العمدة أو الركيزة في أفعال الكلام و أهمها فركز" أوستن" عنايته عليه و هذا لأن الفعل يرتبط بمقصد المتكلم و على السامع أن يبذل جهده في سبيل الوصول إلى المعنى المقصود ثم أقام "أوستن" تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية ويشتمل على خمسة أصناف و في هذا المخطط أهم الأنواع التي توصل إليها "أوستن".[2]

الأحكام	القرارات	التعهد	السلوك	الإيضاح
قرار قضائي محاكمة	الإذن الطرد التعيين الحرمان	الوعد الضمان التعاقد القسم	اعتذار شكر مواساة تحدي	الاعتراض تشكيك إنكار موافقة تصويب تخطئة

1-**أفعال الأحكام:** تتمثل في اتخاذ قرار لصالح أو ضد شخص، و قد تكون ظنية أو تقديرية.

2-**أفعال القرارات:** تمثل اتخاذ قرار لصالح أو ضد شخص مثل نصح، حذر.

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 46.

[2] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، ص 187.

3-**أفعال التعهد:** هي التي يتعهد فيها المرسل بفعل شيء، فيلزم نفسه به، مثل: أعد، أتعهد.

4-**أفعال السلوك:** و هي التي تكون رد فعل لسلوك الآخرين مثل الاعتذار، الشكر .

5-**أفعال الإيضاح:** و هي أفعال تستعمل لتوضيح وجهة نظر.[1]

يعتبر رد "أوستن" على الفلاسفة من خلال رفضه أن تكون اللغة مجرد وصف للوقائع الخارجية و معيار الحكم عليها بالصدق أو الكذب بمثابة الميلاد لنظرية أفعال الكلام. إلا أنها كانت تفتقد إلى أسس منهجية واضحة، لكنها سرعان ما تحددت معالمها مع مجيء تلميذه "سيرل Searle ".

و يمكن أن نلخص ما جاء به" سيرل" في النقاط الآتية:

1-يعد الفعل المتضمن في القول الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي و للقوة الإنجازية دليلا يبين لنا نوع الفعل الإنجازي، الذي يؤديه المتكلم حين نطقه الجملة كالنبر و التنغيم و صيغ الفعل.

2-الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم، بل يرتبط أيضا بالعرف اللغوي و الاجتماعي.

5-طور شروط الملاءمة التي تحدث عنها "أوستن" و جعلها أربعة شروط :

أ- **شروط المحتوى القضوي:** و يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي، و القضوي نسبة للقضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع و متحدث به أو خبر، و المحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، و يتحقق شرط المحتوى القضوي في فعل الوعد مثلا، إذا كان دالا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه، فهو فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب.

ب-**الشرط التمهيدي:** و يتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

ج-**شرط الإخلاص:** و يتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل.

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص 36.

د-الشرط الأساسي: و يتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

4-صنف أفعال الكلام إلى خمسة أصناف و هي:

أ-**الإخباريات أو التقريريات:** و اتجاه المطابقة في الغرض الإخباري أو التقريري هو من الكلمات إلى العالم و لا يوجد شرط عام للمحتوى القضوي في الإخباريات لأن كل قضية يمكن أن تشكل محتوى في الإخباريات و أفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق أو الكذب.

ب-التوجيهات: و الغرض يكون من الكلمات إلى العالم إلى الكلمات و المسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب و قدرة المخاطب على انجاز ما طلب منه.

ج-الالتزامات أو الوعديات: و اتجاه المطابقة في الغرض الالتزامي يكون من العالم إلى الكلمات و المسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلم و الشرط العالم للمحتوى القضوي هو تمثيل القضية فعلا مستقبلا للمتكلم و قدرة المتكلم على أدائها يلزم نفسه به.

د-التعبيريات: و اتجاه المطابقة في الغرض التعبيري هو الاتجاه الفارغ و ليس هناك شرط عام محدد للمحتوى القضوي في التعبيريات و القضايا التي تتضمنها يرتبط بالمتكلم أو الخاطب.

هـ - الإعلانيات: و اتجاه المطابقة في الغرض الإعلاني قد يكون من الكلمات إلى العالم أو من العالم إلى الكلمات؛ أي الاتجاه المزدوج و لا يحتاج إلى شرط، إذ يكفي إنجازها بنجاح لتحقيق المطابقة.

5- فرق أوستن بين الأفعال اللفظية و الأفعال الإنجازية، فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة و الأفعال الإنجازية غير المباشرة، و أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق مراد المتكلم و الأفعال الإنجازية غير المباشرة هي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

فالفعل الإنجازي المباشر الذي يحقق المطابقة بين المعنى القولي و المعنى الغرضي والفعل الإنجازي غير المباشر الذي يخالف مراد المتكلم فيه مقتضى الفعل[1].

و خلاصة القول فإن نظرية الأفعال الكلامية تحتل مكانة هامة في الدرس التداولي، فهي لم تعرف كنظرية إلا على يد الإنجليزي" أوستن" الذي وضع معالم و مبادئ هذه النظرية وسرعان ما اتضحت مناهجها على يد تلميذه " سيرل " الذي أعطى تصنيفات جديدة للفعل الكلامي.

.

[1]ينظر : نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، ص ص185 ، 186 ، 187.

الفصل الثالث

المقاربة تداولية للبلاغة العربية

1- ملامح التداولية في البلاغة العربية :

سنحاول في هذا الفصل إثبات تناول علمائنا القدامى للجانب التداولي للغـــة مـــن خـــلال معالجتهم لعديد القضايا التي تعتبر اليوم من مرتكزات النظرية التداولية،

إن فكرة السياق أو المقام تعد الحجر الأساس لإثبات الصفة الاجتماعية لأي لغة مـــن اللغات، و هذا هو الجانب الذي ترتكز عليه التداولية، فإذا ما استطعنا إثبات وعي العرب القدماء بفكرة المقام، و مقتضى الحال، سياق، و مدى تأثيره على اللغة، نكون قـــد أثبتنـــا النظرة الاجتماعية للغة عند العرب[1]، و لأن النظرية التداولية قامت على مفهـــوم الســـياق الذي يعرفه أصحابه بأنه : « الوحدات التي تسبق أو تعقب وحـــدة معينـــة أو مجموعـــة الظروف الاجتماعية، و تعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي أو سياق الحـــال» [2] وهذا هو المبدأ الذي قامت عليه التداولية ، فماذا عن البلاغة العربية ؟.

إن حضور فكرة المقام، أو السياق في البلاغة العربية لا يحتاج إلى إثبـــات أو تأكيـــد خاصة في علم المعاني، فلا يمكن أن نتحدث عن علم المعاني دون أن نتطرق إلى المقـــام أو السياق، كذلك بالنسبة إلى البيان و البديع ،« إن فكرة المقام عند العرب القدماء عموما والبلاغين خصوصا كانت حاضرة بقوة تحت مسميات مختلفة مثل مراعاة المخاطـــب أو الغرض أو الحال»[3] يقول "أبو الهلال العسكري" في كتابه "الصناعتين "«... فالواجـــب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، و البـــدوي بكـــلام البدو، و لا يتجاوز به عما يعرفه، إلا ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام،

---

[1] بلقاسم حمام ، فكرة المقام في النحو العربي،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر بسكرة –الجزائر،العدد11، ماي 2007،ص 126.

[2] صلاح الدين زرال، إرهاصات التداولية في التراث اللغوي العربي، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، ص 03.

[3] بلقاسم حمام، المرجع السابق، ص 126.

و تعدم منفعة الخطاب»[1]" فأبو الهلال العسكري" يؤكد أنه لنجاح العملية التواصلية يجب مراعاة المقام أو السياق وذلك بمراعاة طبقات الناس فتكون طبقات الكلام كطبقات الناس، و إن لم نراعي ذلك لم نحقق المنفعة و لم تنجح العملية التواصلية، كذلك تراعي البلاغـــة العربية حال السامع خاصة في الخطابة و قد دعاه البلاغيون باسم مقتضى الحـــال وهـــو الاعتبار المناسب[2] معنى ذلك على الخطيب أن يراعي المقام الذي يصاغ فيه كلامه، و قد حدد "السكاكي" في مفتاحه يقول:«...فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقـــام التعريف، و مقام الذكر يباين مقام التقييد، و مقام التقديم يباين مقام التأخير، و مقام الـــذكر يباين مقام الحذف و مقام القصر يباين مقام خلافه، و مقام الفصل يباين مقام الوصـــل، و مقام الإيجاز، يباين مقام الإطناب و المساواة...[3]

إذن يتبين على المتكلم أن يراعي مقام كلامه، فهذا يؤكد إدراك" الســـكاكي" .للقـــرائن المختلفة التي تساهم في تحديد قصد المتكلم من كلامه، و ما يجب عليه أن يراعيـــه فـــي عمله التواصلي من خلال مراعاة حال المتكلم والمخاطب و سياق الكلام وهذه العناصـــر من صميم البحث التداولي بحكم أنها تدرس اللغة أثناء الاستعمال، ركزت البلاغة العربية على المقام الذي يضم كل ما يحيط بالعملية التواصلية من ظروف مكانية .

و الموقف الذي يصدر فيه الحدث الكلامي، إضافة إلى المتكلم و المخاطـــب معـــا. أمـــا العلماء المحدثون فيذهبون في تعريفهم للمقام : يقول" ديكرو": « إننا نسمي مقام الخطـــاب مجموعة الظروف التي نشأ الخطاب في وسطها، و يجب أن نفهم من هذا المحيط المادي

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 29.

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 33.

[3] بلقاسم حمام،فكرة المقام في النحو العربي،ص126.

و الاجتماعي، الذي يأخذ الظرف فيه مكانه، و الصورة التي تكون للمتخـــاطبين عنـــه، وهوية هؤلاء، و تعرف التداولية غالبا بوصفها دراسة لهيمنة المقام لمعنى العبارة»[1] فالتداولية تراعي المقام الذي قيلت فيه العبارة، لأن المقام هو الذي يحدد المعنى المقصود في ذلك المقام و الظروف المحيطة التي قيلت فيها، و كذلك ركز "ديكـــرو" علـــى هويـــة المتخاطبين، فلابد لكل متكلم أن يعرف مستمعه ويعرف مكانته السياســـية والاجتماعيـــة، لأن العبارة يتغير معناها بتغير المقام، والمكان و صفة المستمع .

إن تتبعنا لفكرة المقام –ولو بشكل موجز – في الدراسات اللغويـــة نجـــد البلاغيـــين العرب قد اهتموا بها وأدرجوها ضمن ملاحظاتهم، فيما ينبغي على الخطيب أن يراعيـــه من أحوال المستمعين، وهذا ما وجدناه في الدرس التداولي، وبهذا يمكننا القول أن البلاغة العربية والتداولية انطلقتا من الفكرة نفسها، وقد أشار "صلاح فضل"إلى هذا السياق حيث قال :« ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشـــار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال وهي التي أنتجت المقولـــة الشـــهيرة فـــي البلاغة العربية لكل مقام مقال» [2]

لقد أعادت التداولية الاعتبار لطرفي التواصل (المرسل والمرســـل إليـــه) وللســـياق المحيط بالرسالة، حيث يعنى التداوليون بمقاربة الخطاب بوصفه منتجا إبـــداعيا يفتـــرض وجود فاعل منتج، وعلاقة حوارية مع مخاطب أو مستقبل.

---

[1] سليم حمدان، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير (مخطوطة)، إشراف محمد بوعمامة، جامعة الحاج لخضر باتنة –الجزائر، 2008 م، ص 94.

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان –مصر ، ط 1 ، 1996 ، ص 26.

في سياق معلوم يكشف غموض الرسالة[1]؛ بمعنى أن التداولية عنيت بكل مـــن المســـتمع والمتكلم والرسالة هذه الأخيرة التي هي عبارة عن إبداع أو إنتاج يتوقف وجودهـــا علـــى وجود متكلم باعتباره الفاعل المنتج، له علاقة حوارية مع المستقبل المخاطب، هذا بالنسبة للتداولية، فماذا عن البلاغة العربية ؟ كيف نظرت البلاغة إلـــى المـــتكلم والمخاطـــب (المستمع) والرسالة أو الخطاب .[2]

أ-المتكلم في البلاغة العربية: للمتكلم دور بارز في البلاغـــة العربيـــة، بوصـــفه منـــتج الخطاب وباعثه، ولأنه وحده الذي يستطيع تحديد دلالات رسالته ومقاصدها بل إن المعنى في أغلب الأحوال مرتبط بما يريده ويقصده، ويتجلى ذلك في عدد من المباحث، الحقيقـــة والمجاز، صدق الخبر وكذبه، مراتب الكلام .

ب-المخاطب في البلاغة العربية: يحظى السامع في العملية الإبلاغية في الدرس البلاغي بأهمية لا تقل عن أهمية المتكلم، الذي هو منشئ الخطاب ومنتجه، فإن السامع هـــو مـــن ينشأ له الخطاب، ومن أجله، وهو مشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فاعلة، وإن لم يكـــن بطريقة مباشرة، فالمتكلم حين يراعي مقام الخطاب وأحوال السامع، وأشكال إلقاء الخبـــر عليه فهو يضع المستمع نصب عينيه ويستحضره في كل عملية إبلاغية، ويظهر ذلك في مباحث من نحو إفادة الخبر، و اعتبار السامع ...

ج-الخطاب في ذاته في البلاغة العربية : لم يفصل الدرس البلاغي البنى اللغويـــة التـــي تناولها عن واقع استعمالها، فضلا عن وصفه اللغة أثناء استعمالها.

عنيت البلاغة العربية بأطراف العملية التواصلية و هي لا تختلف في هذا عن مجـــال التداولية التي تهتم بأقطاب العملية التواصلية، ضمانا لتحقيق التواصل من جهـــة و إلـــى الوصول إلى غرض المتكلم و قصده من كلامه من جهة أخرى.

---

[1] أسامة محمد إبراهيم البحري، انغلاق البنية و انفتاحها في البنيوية و التداولية و البلاغة العربية، ندوة اللجنة العلمية دورة الدراسات البلاغية، الواقع و المأمول، 1422 هـــ، ص 40.

[2] خليفة بوجادي، نحو منظور تداولي لتدريس البلاغة العربية مشروع لربط البلاغة بالاتصال، ندوة اللجنة العلمية دورة الدراسات البلاغية الواقع و المأمول، 1422 هـــ، ص 39.

و التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء التلفظ بها في السياقات و المقامات المختلفة « فالتلفظ هو النشاط الرئيسي الذي يمنح اللغة طابعها التداولي» [1] و ذلك لكونه ينتقل باللغـــة مـــن وجودها بقوة في ذهن صاحبها إلى وجودها بالفعل من خلال الممارسة، و على أساس هذه الممارسة يتحدد القصد و الغرض من الكلام، فالتداولية تدرس اللغة بعدها :« كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، و موجها إلى مخاطب محدد في مقام تواصـــلي محـــدد لتحقيـــق غرض تواصلي محدد» [2] بمعنى أن الدرس التداولي يسعى لدراســـة اللغـــة فـــي إطـــار التواصل و ليس بمعزل عنه، و معرفة مدى تأثير السياقات الخارجية اجتماعية كانـــت أو سياسية ...في نظام الخطاب.

إن في حديثنا عن البلاغة أول ما تنصرف إليه البلاغة هو الإبلاغ، فتعالج كيفية التـــأثير في الآخر و إقناعه و بيان المقاصد، التي يهدف الباحث إلى تحقيقها، و هذا يعد من صميم البحث التداولي، الذي يعالج درجات التفاعل الاتصالي بين المخاطب و المخاطب و شـــدة التأثير و قوته، فالواضح أن للبلاغة العربية علاقة مع التداولية هذه الأخيرة فـــي أوجـــز تعريفاتها« هي دراسة مناحي الكلام، أو دراسة اللغة حين الاستعمال، فإن البلاغة هـــي المعرّفة باللغة أثناء استعمالها.»[3]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 27.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 26.

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، سطيف – الجزائر ، ط 1 ، 2009 م ، ص 154.

يقول "السكاكي":«هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبه و المجاز و الكناية على وجهها و بها أعني البلاغـــة طرفان أعلى وأسفل ...» [1] من خلال تعريف "السكاكي" نجد: للمتكلم دور بارز سواء في البلاغة العربية أو في التداولية بعده منتج الخطاب و المتلفظ به.[2]

-على البليغ أن يوظف في كلامه طائفة من الأدوات البلاغية مثـــل التشـــبيه و المجـــاز والكناية، كي يكون كلامه بليغا حتى يتمكن من التأثير على المتلقي، و هو مـــا لا يتـــوفر عند كل الناس، فالبلاغة تعني التواصل الأدبي الرفيع.

فالبلاغة بصفة عامة تعني بجملة من العناصر التي تعد من صميم البحث التداولي و تكون في الكلام و المتكلم و هي:[3]

-صحة اللغة و صوابها، و يشمل الاهتمام بمستويات اللغة جميعـــا، و العنايـــة بســـلامة الألفاظ من العيوب.

-أن يكون المعنى الذي يقصده المتكلم مطابقا و منسجما مـــع الألفـــاظ و الجمـــل التـــي استعملها المتلفظ في خطابه.

-أن يكون المتكلم المتلفظ صادقا في نفسه.

و كذلك معرفة أقدار السامعين و منازلهم و مراعاة ذلك أثناء التلفظ بالخطاب.

فواضح أن هذه العناصر تشكل مجالات مشتركة بين البلاغة العربية والتداولية بمختلف جوانب دراستها للمعنى، فهذه الأخيرة تعنى كذلك، «بالشروط اللازمة لكي تكون الأقـــوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم ».[4]

إن البلاغة والتداولية يشتركان في الاعتماد على اللغة بعدها أداة لممارسة الفعل علـــى المتلقي في سياقات مخصوصة لذلك نجد من المحدثين من يساوي بين البلاغة والتداوليـــة

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص.184

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 163.

[3] محمد كريم الكواز، المرجع السابق ، ص 16.

[4] صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، ص 31.

مثل "جيفري ليتش"، حيث يرى أن البلاغة تداولية في صميمها إذ إنها ممارسة الاتصـــال بين المتكلم والسامع[1]. فكلاهما يهتم بعملية التلفظ والعوامل المتحكمة فيهـــا، قبـــل الكـــلام وأثناء التلفظ بالخطاب وإلى غاية إنجازه ، فالبلاغة والتداولية علمان يتفقان في« دراســـة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقـــام المـــؤثرة فـــي اختياره لأدوات معينة دون أخرى للتعبير عن قصده، كالعلاقة بين الكلام وسياق الحـــال، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب والمقاصد من الكلام» [2].

إن المتتبع لموضوعات البلاغة العربية وتحليلاتها يجد فيها عناصر المقاربة التداوليـــة حاضرة في كل الخطابات البلاغية، ومن بينها السياق والمقام فضلا عن المقاصد ...إلـــى غير ذلك

1ــ 1ــ الاستلزام الحواري في التراث البلاغي :

سنحاول الوقوف على ظاهرة الاستلزام الحواري انطلاقا مـــن جملـــة مـــن الأســـئلة المحورية كيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم خطابيـــا ؟ وكيـــف يمكن لجملة ما أن تحمل بالإضافة إلى معناها المباشر المدلول عليه بصيغتها معنى أخر ؟ وما مدى انتباه الفكر اللغوي العربي القديم لهذه الظاهرة .

إن السؤالين الأول والثاني كناقد أجبنا عليهما في الفصل الثاني، أما السؤال الثالث هو من سنقف على الإجابة عليه في هذه السطور.

---

[1] صلاح فضل، المرجع السابق، ص 121.

[2] جون براون، ج يول، تحليل الخطاب، ترجمة و تعليق، محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية (د. ط) 1997 م ، ص 32.

يميز اللغويون العرب والبلاغيون منهم بصفة خاصة في استعمال العبارات اللغويـــة بين ما يسمونه بالاستعمال على وجه الحقيقة والاستعمال على غير وجـــه الحقيقـــة؛[1] أي هناك معنى صريح وآخر مستلزم ونقطة الفصل بينهما أن الأول تدل عليه العبارة بلفظهـــا وأن الثاني تدل عليه العبارة باستعمالها في موقف تواصلي معين، فكيف نظر البلاغيـــون لهذه الظاهرة ؟

لقد شغلت قضية المعنى اللغويين قديما فبحثوا في جوانبها المختلفة لأن هذه القضـــية المرتبطة بالإعجاز القرآني، فدرسوا المجاز، منهم:

"عبد القاهر الجرجاني" الذي برع في علوم البلاغة « و إن دراسته للنظم لتقـــف و مـــا يتصل بها بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب، وتفوق معظمهـــا في مجال فهم طرق التركيب اللغوي ».[2]

فلقد ميز"عبد القاهر الجرجاني" في " دلائل الإعجاز " بين حمل العبارة اللغويـــة علـــى ظاهرها وحملها على المجاز، إذ يمكن أن تدل على غير معناها اللفظي، فيتحـــدد معناهـــا حينئذ من طريق التأويل (التفسير)، و هذه الأمثلة من فصل « في اللفظ يطلق المراد به غير ظاهرة».[3]

- هو طويل النجاد يريدون به طويل القامة .
- كثير الرماد يريدون به رجلا كريما.
- نؤم الضحى يريدون به امرأة مترفة.

و قد أردف "عبد القاهر الجرجاني" هذه الأمثلة بقوله: «...فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، و لكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه

---

[1] محمد السيدي، إشكالية المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، مجلة فكر و نقد، الرباط – المغرب، ع 25 ، 2000 م ، ص 101.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب (د،ط)، 1420هـــ، 2000م، ص 18.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص177.

أن يردفه في الوجود و أن يكون إذ كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجـــاد و إذا كثر القرى كثر رماد القدر، و إذا كانت المرأة مترفة بها من يكفيها أمرها ردف ذلـــك أن تنام إلى الضحى». [1]

فالكلام "عبد القاهر الجرجاني"على ضربين:[2]

-أحدهما يدل على معناه بظاهر لفظه، و ثانيها يحتاج إلى إعمال الفكر، لأن معناه مستفاد من المعنى الأول .

فالمعنى "عبد القاهر الجرجاني"هو المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بلا واســـطة في حين أن معنى المعنى أن تقف على اللفظ بمعنى معين ثم يفضي بك ذلك المعنى إلـــى معنى آخر.[3]

و يؤكد "عبد القاهر الجرجاني"على تعدد دلالات الكلام الواحد في أكثـــر مـــن موضـــع فيقول:

و اعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام، إذا أحسنت النظر فيما ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه من صورة إلى صورة من غير أن تغير من لفظـــه شيئا، أو تحول كلمة من مكانها إلى مكان آخر، وهو الذي وسع مجال التأويل و التفســـير حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر[4] ، إن الدلالات المتواريـــة خلـــف المعنى الظاهر تحتاج لمفسر و مؤول من ذي دراية كبيرة حتى لا يكون هناك خلط فـــي الفهم و إبعاد النص أو الخطاب عما يقتضيه.

كذلك يميز "عبد القاهر الجرجاني" بين حمل العبارة اللغوية على ظاهرها و حملها على المجاز يمثل بقوله تعالى: « و اشتعل الرأس شيبا »[5] إذا المعلوم أن اشتعل للشـــيب فـــي

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص177 .

[2] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص 177.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص 243.

[4] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص177 .

[5] سورة مريم ، الآية 04 .

المعنى المستلزم و إن كان هو الرأس في اللفظ، فلو غيرنا الجملة و أسـندنا اللفـظ إلـى الشيب صراحة لقلنا اشتعل شيب الرأس، و الشيب في الرأس، فتفقـد الجملـة حسـنها و فخامتها وروعتها[1] ، إن تصور "عبد القاهر الجرجاني" لطرق تحديد عبارة لغوية معينـة يدفعنا إلى الاعتقاد أن "عبد القاهر الجرجاني" يصنف العبارات إلى عبارات غير ملتبسـة .و هي التي تدل على ما وضعت له؛ أي التي يؤخذ مدلولها من لفظها، و عبارات ملتبسة يرفع عنها اللبس إما بالرجوع إلى الموقف التواصلي و أما لسياقها التركيبي[2]، لقـد ميـز "عبد القاهر الجرجاني" بين المعنى و معنى المعنى و هذا ما نجده في الـدرس التـداولي (الاستلزام الحواري).

أما بالنسبة "للسكاكي" فقد انطلق في حديثه عن المعنى من افتراض التمييـز بـين ثلاثـة مستويات من الدلالة، دلالة بالوضع أو المطابقة، دلالة بالعقل أو التضمن و دلالة بالعقـل أو الالتزام ، مؤكدا وجود علاقات يتم بواسطتها الانتقال من وحدة إلى أخرى عن طريـق إعمال العقل يقول: « لا يخفى أن طريق الانتقال من الملزوم إلى اللازم طريق واضـح بنفسه » [3] و يتضح أن السكاكي ينطلق من اعتقاد أن العبارة تفيد ما وضـعت لـه، كمـا يمكن أن تفيد غير ما وضعت له مثل المجاز و الكناية و العلاقة بينهما هي علاقـة لازم بملزوم، أو ملزوم بلازم.[4]

مما سبق فإن مساهمة علماء البلاغة (الجرجاني) في المجال التداولي التراثي تتجلى في وعيه بتعدد الدلالات و اختلافها باختلاف الناس في فهمها ووقوفـه عنـد المعنيـين الصريح و المستلزم فدل الأول على ما تدل عليه العبارة بلفظها، و دل الثاني على ما تدل عليه العبارة باستعمالها في موقف تواصلي معين، و يعتبر هذا التمييز أحد أبرز مقومـات

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 117

[2] محمد السيدي، إشكالية المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، ص 104.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 104.

[4] محمد السيدي ، المرجع السابق ، ص 104.

نظرية الاستلزام الحواري و يتجلى ذلك واضحا في المصطلحات التي وضعها هؤلاء، و التي اختلفت باختلاف تخصصاتهم، كدلالة المفهوم و المعنى المقامي و معنى المعنى....

لقد أسهم علماء العرب في تحديد العلاقة بين المعنى الأول و المعنى الثاني أو المعنـــى الظاهر و المعنى المضمر، أو المستلزم على حد تعبير التداولية المعاصرة، و هذا يمنحهم السبق في هذا المضمار.

1-2- أفعال الكلام في التراث البلاغي :

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن الظاهرة الأسلوبية " الخبر و الإنشاء " و ما يتعلق بها من تطبيقات و فروع و قضايا، و لذلك تعتبر نظرية الخبر و الإنشاء عند العرب مـــن الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين[1] و قد عولجت هـــذه الظاهرة ضمن مباحث علم المعاني .

إن ظاهرة الخبر و الإنشاء في التراث العربي حقل معرفي مشترك بـــين تخصصـــات علمية متعددة فلسفية و بلاغية و نحوية و فقهية، لذلك فعلى الباحث في هذه لظـــاهرة أن يتتبع فروعها و تطبيقاتها في كثير من المؤلفات المختلفة لكنها متشابهة من حيث استعمال الأدوات التحليلية المنطقية على قدر من الدقة و التجريد، و أن هذه الظاهرة لم تأت مكتملة في بداية أمرها، فقد مرت بمراحل و أطوار التي تمكنت من خلالها الاســـتقرار علـــى أسس علمية دقيقة، و قد اعتمد العلماء في التميز بين الخبر و الإنشاء عدة معايير منطقية و أخرى تداولية جاءت متداخلة[2].أقر العلماء العرب أن الخبر له نسبة كلامية توصف إما صدقا أو كذبا لأنها حقيقة مردها إلى الواقع، إما الإنشاء فليس له حقيقة مرجعية في الواقع

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 49.

[2] مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص 58.

الخارجي عن اللغة[1] بمعنى أن الخبر مرجعيته تكون في الواقـــع لأن حكـــم بالكـــذب أو الصدق ما مدى مطابقتها للواقع في حين أن الإنشاء ليس لديه مرجعية خارج اللغة.

لقد درس علماء البلاغة ظاهرة الخبر و الإنشاء بربطها بقصـــد المـــتكلم و غرضـــه و السياق و المقام، كذلك فالتداوليون المعاصرون لا يدرسون أفعال الكلام إذا كانت مجـــردة عن سياقها الكلامي، أو معزولة عن غرض المتكلم، و إنما يدرسون إنجازية تلك الأفعال، ومنه فصنيع العرب يعد دراسة تداولية صريحة[2].

إن نظرة البلاغين إلى ظاهرة الأفعال الكلامية، تتميز بالشمولية أيضا للبعد التداولي للغة حيث وقفوا على مفاهيم تعكس بوضوح هذا البعد منها الإفادة، جريان الكلام ...[3]

2- مقاربة تداولية للتقديم و التأخير:

2 ــ 1ــ الافتراض المسبق :

جاء فيما سبق أن الافتراض المسبق الذي عنيت به التداولية و يعد واحـــدا مـــن أهـــم الموضوعات التي عالجتها مفاده انطلاق المخاطبين من معطيات معرفية قاعدية لتحقيـــق الفهم.

و نجد "عبد القاهر الجرجاني"في أكثر من موضع يقر بأنه يجب أن يكون هنـــاك هـــذا النوع من المعطيات المعرفية منها، يقول"عبد القاهر الجرجاني": « أأنـــت فرغـــت مـــن الكتاب الذي كنت تكتبه خرجت من كلام الناس »[4] معنى هذا السؤال هـــل أنـــت أنهيـــت الكتاب الذي قد شرعت في كتابته فأنت تعلم أنه كان يكتب كتاب ثم تأتي و تسأله هل أنت من أكمل كتابة الكتاب الذي شرعت في كتابته فلا يحق لك أن تطرح مثل هذا الســـؤال و أنت لديك افتراض مسبق أما سؤالك فيكون : أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه، فسؤالك

---

[1] مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص 67.

[2] مسعود صحراوي ، المرجع نفسه ، ص 53.

[3] عمر بلخير،نوارة بوعياد، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مجلة الأثر، العدد 13 ، مارس 2012 ص 63.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 112.

في هذا المثال صحيح لأنك تريد أن تعلم إن فرغ من كتابة الكتاب أو لا، كـــذلك بالنســـبة لمثال الدار،

و الشعر و هذا ما يوافق ما وجدناه في كتب التداولية عند الحديث عن الافتراض المسبق و المثال كيف حال زوجتك و أولادك، و يطرح مثل هذا السؤال عندما تكون العلاقة التي تربط السامع بالمتكلم علاقة تسمح بطرح مثل هذه الأسئلة، و لكي يكون التواصل ناجحـــا يجب أن يكون السائل لديه افتراض مسبق بأنه متزوج ولديه أولاد، كـــذلك فـــي الســـؤال الأول يجب على السائل حتى يكون سؤاله صحيح أن يكون لديه افتراض بأن الرجل بـــدأ في كتابة كتاب، كذلك المخاطب عليه أن يعرف أن المخاطب قد شرع في بناء بيت و في قول الشعر.

كذلك نجد في" دلائل الإعجاز "في باب التقديم و التأخير في هذا الصـــدد يقـــول "عبـــد القاهر الجرجاني ":« أرجل جاءك فأنت تسأله، عن جنس من جاءه، أرجل هو أو امرأة ؟ و يكون هذا منك إذا كنت علمت، أنه قد أتاه آت، و لكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي »[1] فيمكنك أن تطرح مثل هذا السؤال لأنك تعلم أن هناك آت؛ أي لديك افتراض مسبق.

2-2- الاستلزام الحواري :

مما تقدم فإن"عبد القاهر الجرجاني" يفترض أن العبارة اللغوية لا يمكن أن تفهـــم دائمـــا على الحقيقة؛ أي إن المعنى الظاهر الذي يدل عليه لفظ العبارة، ليس دائما هـــو المعنـــى الوارد.

و"عبد القاهر الجرجاني" يفترض في من يريد دراسة المعنى العبارة أن لا يكـــون عارفـــا بدلالة الألفاظ المعجمية، بل عليه أن يكون عارفا آخذا في مسألة حال وصف معنى عبارة ما مدى مطابقتها لمقتضى الحال، فقد ركز على المعنى المستلزم، و لكن هذا لا ينفـــي أن يكون للعبارة معنى حرفي ظاهر.[2]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، المصدر السابق ، ص 142.

[2] محمد السيدي، إشكالية المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، ص 105.

مما ميز دراسات" عبد القاهر الجرجاني"، أنه قام بربط اللغة بالممارسة، و ذلـــك مـــن خلال متابعته للفروق في الاستعمال التي تعرض الكلام في النظم خاصة المتعلقة بالقصد، ومرتبطة بالغرض أو المعنى المتضمن فيه و الذي يريد إيصاله إلى المخاطب.[1]

مادام التخاطب يقوم على الفهم و الإفهام فإن المتكلم يستعين بآليات مختلفـــة فـــي إنتـــاج خطابه، و ذلك بحسب السياق الذي يربطه بمخاطبة و لنجاح هذه العملية التواصلية فـــإن المتكلم في بعض الأحيان يلجأ إلى العدول عن التراكيب الأصل لبيان قصد المتكلم، ولقـــد حاول "عبد القاهر الجرجاني" أن يبين مهام المتكلم أثناء التلفظ بخاطبه انطلاقا من الوسائل التي تمكنه من بلوغ هدف التواصل[2] و الآليات التي يعتمدها المتكلم من أجل الوصول إلى قصده آلية التقديم و التأخير التي خصص لها "عبد القاهر الجرجاني" فصلا فـــي "دلائـــل الإعجاز" مبينا تلك العزوف الدلالية بينها و سننطلق في دراسة هذه المقولة البلاغية مـــن فرضية أنها متعلقة بالاستلزام الحواري الذي يتطلب من المخاطـــب تـــأويلا مـــن أجـــل الوصول إلى المعنى المستلزم مقامي و ذلك بالخروج من المعنى الحرفي إضافة إلـــى أن بلاغة العبارة اللغوية تكمن في معناها المستلزم[3] .

تناول "عبد القاهر الجرجاني" مقولا بلاغية منها التقديم و التأخير و قد تنبه إلى الفروق في استعمالها، و أرجع ذلك إلى الاستلزام الحواري كما فهمناه من طريق تحليله .[4]

ففي المثال: قتل الخارجي زيد " و في هذه الجملة عدولا عن الأصل (فعـــل + فاعـــل + مفعول به)، و لكن هذا العدول مرتبط بالقصد في سياق معين، ففي هذا المثال المخاطـــب بحاجة إلى معرفة خبر مقتل الخارجي و ليس الفائدة في معرفة القاتل و إنما في معرفـــة المقتول، و هذا راجع إلى السياق، فالناس هنا يهمهم قتل الخارجي نظرا لسوء سيرته

---

[1] ثقابيث حامدة، قضايا لتداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، رسالة ماجستير (مخطوطة) جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر ، 2012 م ، ص 122.

[2] ثقابيث حامدة، المرجع نفسه ، ص 122.

[3] محمد السيدي، إشكالية المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ، ص 106.

[4] ثقبايت حامدة، المرجع السابق، ص 126.

و نفورهم منه، لهذا كان الأولى قولك "قتل الخارجي زيد "و لا نقول" قتل زيد الخـــارجي" لأنك تقول مثل هذه في غرابة الموقف و نذرته ، لأن المتعارف عليه أن زيد لا يقتـــل و لكن قدمت زيد في موضعه الأصلي لأنه هو العام .

يلاحظ "عبد القاهر الجرجاني" الفرق بين تحريك الكلمات من مواقعها، و يربط هـــذا التحريك بالموقف أو السياق و قصد المتكلم بالإضافة إلى مراعاة حال المخاطـــب و مـــا يجب أن يفهم أو يستلزم من العبارة، و هذه المعطيات نجد لها مثيلا في نظريـــة " بـــول غرايس " (الاستلزام الحواري)، فالتقديم و التأخير يتعلق بالإخبار المستلزم مقاميا و كيفية صياغته و نقله للمخاطب و كذا الطريقة التي بالإمكان، إقناعه بها كـــي يفهـــم و يـــؤول الخطاب.[1]

و كذا من التفاعل بينها و بين مقتضيات المقام، و إدراك هذه القيمة و جماليتهـــا فـــي التراكيب يستلزم استحضار الأصل و استصحابه ليقاس عليه ضبط درجة العدول كما و كيفا[2] فالفهم قصد المتكلم من هذا العدول يجب استحضار الأصل ففي قتل الخارجي زيد لابد من حضور أصل القول، قتل زيد الخارجي، لأن تحريك أي عنصر من مكانـــه إلـــى مكان ليس له في الأصل ينبئ عن مقصد و غاية.[3]

و من الفروق التي تنبه إليها "عبد القاهر الجرجاني" نجد حديثه عن القصد و العـــدول في استعمال الهمزة فإنك إذا قلت : أفعلت ؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه و كان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، و إذا قلت أنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو ؟ أي كان التردد فيه، فالعبارتين: "أفعلت"،" أأنت فعلـــت".تحتويـــان علـــى الجمل نفسها فإن لهما مدلولين مختلفين، ذلك أن حيز الاستفهام يختلف من العبارة الأولى إلى الثانية، ففي العبارة الأولى الجملة كلها في حيز الشك، في حين أن الجملة الثانية فـــإن

---

[1] ثقايبث حامدة، المرجع السابق، ص 126.

[2] عبد الحميد السيد، دراسة في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية – التراكيب النحوية و التداولية علم النحو وعلم المعاني ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 1424 هـــ ، 2004 م ، ص 129.

[3] عبد الحميد السيد، المرجع نفسه، ص 129.

حيز الاستفهام هو أحد مكونات العبارة،" أنت "[1] إن الهمزة إذا تلاها الفعـــل دلـــت علـــى مقصد المتكلم؛ أي أنه يريد الاستفهام على الفعل في ذاته أما إذا تلاها الاسم فإن المـــتكلم يريد الاستفهام عن الفاعل هل هو من فعل أو لا.

و"عبد القاهر الجرجاني" تنبه إلى هذه الفروق من خلال قصد المتكلم و ما يريد أن يصل إليه فأسلوب الاستفهام يستعمل في معرفة مقاصد الآخرين من خطاباتهم، فحـــين تتصـــدر الهمزة الفعل فإن الشك في الفعل نفسه، أما إذا تصدرت الاسم فإن الفاعل هو مدار الشك، كما أن ورود الهمزة مع الفعل الماضي يختلف عن ورودها مع الفعل المضـــارع، ففـــي الحالة الأولى يكون الغرض تقرير المخاطب، أما الحالة الثانية و هي ورود الهمـــزة مـــع الفعل المضارع الدال على المستقبل فالغرض منه الإنكار.[2]

يواصل "عبد القاهر الجرجاني" ملاحظة الفروق الدلالية في الاستفهام بالهمزة، معتمـــدا في تحديد هذه الفروق على قصدية المتكلم و مطابقة للواقع؛ أي مقتضى الحال ففي المثال " أقلت شعرا "، يكون كلاما مستقيما و لو قلت: " أأنت قلت شعرا قط " أحلت؛ أي أخطأت وجئت بشيء من محال[3] يكون استفهامك في المثال الأول لأنك تسأل هل "قلت شعرا "في يوم من الأيام في حين أن السؤال "أأنت قلت شعرا قط" فما يستلزم من هـــذه الجملـــة أن هناك شخصا قال الشعر الموجود في الدنيا فهل أنت هو ذاك الشخص، و هذا ضرب مـــن المحال.

وفي الآية الكريمة قال تعالى: « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم» [4] يقول "عبـــد القـــاهر الجرجاني ":« لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام و هم يريدون أن يقرلهم بأن كسر الأصنام قد كان، و لكن أن يقر بأنه منه كان، وكيف ؟ و قد أشاروا به على الفعـــل

---

[1] محمد السيدي، إشكالية المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ، ص 105.

[2] ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين، دراسة نحوية لغوية بلاغية تداولية ، رسالة ماجستير (مخطوطة) إشراف بوجمعة شتوان، جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر ، 2012 م ، ص 112.

[3] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 112.

[4] سورة الأنبياء ، الآية 62.

في قولهم : " أنت فعلت هذا " و قال عليه السلام في الجواب : " بل فعلا كبيرهم هذا "[1] و لو كان التقدير بالفعل لكان الجواب: " فعلت " أو لم أفعل"[2].

يخرج الاستفهام في الآية من السؤال و الشك في الفاعل إلى الإقرار، فهم طرحـــوا هـــذا السؤال ليقر إبراهيم عليه السلام أنه هو من فعل ذلك بآلهتهم ليس السؤال هل هو من فعل أم لا لأن إجابته كانت بل فعله كبيرهم استند "عبد القاهر الجرجاني" إلى أن الاستفهام هو التقرير من خلال السياق لأن إبراهيم عليه السلام لا يؤمن بتلك الآلهة التي يعبدها قومه و هم يعرفون ذلك ، لذلك كان استفهامهم إقرار للفاعل.إن تحليل "عبد القاهر الجرجـــاني" لهذه الآية يتوافق مع ما ذهب إليه التداوليون اليوم في الاستلزام الحواري .

و كذلك في تقديم المفعول: يقول" عبد القاهر الجرجاني":« فإذا قلت أزيدا تضره ؟ كنت قد أنكر أن يكون بمثابة أن يضرب، أو بموضع أن يتجرأ عليه و يستجاز ذلك فيه»[3] فمن خلال هذا القول هناك استلزامات حوارية منها: أنكرت أن يضرب زيد، أو زيد أكثر منك شرف و أرفع منك مكانة فلا يجوز فيه الضرب...

كذلك تحمل صيغة النفي في التقديم و التأخير دلالات مختلفة و هذا مرتبط بقصد المتكلم وما يريد إيصاله إلى السامع، و قد حلل "عبد القاهر الجرجاني" آلية التقديم و التأخير فـــي النفي و أشار إلى الفروق الدلالية حين يتقدم الفاعل أو المفعول به أو الجار مـــع النفـــي، يقول :« " ما قلت هذا" كنت نفيت أن تكون قد قلت ذلك و كنت نوظرت في شيء لم يثبت أنه مقول ؟ و إذا قلت :" ما أنا قلت هذا " كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المنـــاظرة شيء ثبت أنه مقول»[4] و إذا قلت "ما قلت "هذا فأنت تعمد و تقصد أن تنفي القول أو القيام بفعل القول، دون ثبوت أن هناك قولا في حين عندما تقول" ما أنا قلت"هذا فأنـــت بصـــدد إفهام المستمع أنك لست أنت من قال ذلك و القول حاصل، وهنا اختلاف في تقديم الفعـــل

---

[1] سورة الأنبياء ، الآية 63.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 114.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص 121.

[4] عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه ، ص 124.

و تقديم الاسم، و هذا يتعلق بقصدك و ما تريد إفهامه وإيصاله للسامع، فهنا "عبد القـــاهر الجرجاني" يؤكد على قصدية المتكلم.كذلك في المثال الأول أن تريد نفي الضرب و زيـــد قد ضربه غيرك أو لم يضرب أصلا، أما في الثاني فأنت تنفي أنك أنت الضارب و هـــذا يستلزم أن زيد المضروب، و أنك لست الفاعل .

يؤكد "عبد القاهر الجرجاني" على أن المتكلم يجب أن يكون كلامه مطابقا للواقـــع فـــي قوله: و" ما أنا قلت شعرا قط " و "ما أنا أكلت اليوم شيئا " و " ما أنا رأيت أحدا من الناس " وذلك يقتضي المحال»[1] فأنت إذا نفى أن تكون قد أكلت اليوم شيئا، و رأيت أحـــدا مـــن الناس،

و قلت شعرا قط، فأنت تنفي أن تكون الفاعل في حين يستلزم أن هناك أحد غيرك قد فعل الذي لم تفعله، و أن يكون أحد قد قال كل الشعر، أكل كل شيء يؤكل في اليـــوم، أو رأى كل ما خلق الله من بشر، و يقول كل الشعر الموجـــود علـــى هـــذه الأرض بأغراضـــه المتنوعة و لغاته المختلفة فهذا محال.

أما قول المتكلم " ما زيد ضربت " فإن المتكلم يقصد منه نفي ضربه لزيـــد، و إثبـــات أن فعل الضرب وقع منه على إنسان آخر و ذلك متعلق بقصد المتكلم في العملية التخاطبيـــة ويترتب عنه استواء النظم و استقامته بمراعاة سياق التواصل.[2]

و من القواعد التداولية التي اهتم بتحليلها "عبد القاهر الجرجاني" التقديم مع النفي " ما " خصوصا فوضع قاعدة تداولية مضمونها أنك إذا قدمت الفعل فقلت:" ما فعلت"، كنت نفيت الفعل من الأساس، وإذا قدمت الفاعل قلت" ما أنا فعلت " كنت نفيت عنك فعلا ثبـــت أنـــه مفعول.[3]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص 124.

[2] ثقايبث حامدة، قضايا لتداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ص 133.

[3] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ص 161.

ركز"عبد القاهر الجرجاني" في تحليله للقول الذي يحتوي على الخبر المثبت على النظـــر إلى العملية التخاطبية و التي يكون فيها متكلم يتلفظ بقول يحمل خبرا مثبتا ومخاطب يوجه إليه القول بحسب طبيعة السياق [1]، يقول"عبد القاهر الجرجاني" أن المعنى في هذا القصـــد ينقسم قسمين[2] فالأول يكون جليا واضحا و ذلك في قولك "أنا كتب " أنا شفعت في بابـــه "، فأنت تريد الإنفراد و الاستبداد به و تزيل الاشتباه فيه، و ترد على من زعم أن ذلك كـــان من غيرك و هذا يتضح في مثال : أتعلمي بضب أنا حرشته .

فمثل هذا واضح معناه جلي أما في قولك هو يحب الثناء، هو يعطي الجزيل، فهنـــا لـــيس قصدك الإثبات و الاستبداد و التفرد و إنما تريد أن تفهم السامع و تحقق أنه قد فعل، و تمنعه من الشك فأنت لذلك تبدأ بذكره و توقعه أولا.

اعتمد "عبد القاهر الجرجاني" على مبدأ مراعاة غرض المتكلم من كلامه بوصفه قرينة تداولية قوية في الدراسة اللغوية و من خلال الأمثلة السابقة. و "عبد القاهر الجرجاني"قـــد اعتمده ووصفه و دافع عنه في فهم الجمل و التراكيب اللغوية، و كذلك يوظفه أحيانا فـــي بيان خطأ أولئك الذين يخطئون في فهم الخطاب بسبب إهمال الغرض من الخطاب أو عدم الالتفات إليه، لذلك اشترط "عبد القاهر الجرجاني" معرفة غرض المـــتكلم و قصـــده فـــي تحديد معاني الألفاظ.[3]

2ـــ 3ـــ أفعال الكلام :

تعتبر الأفعال الكلامية من أهم المرتكزات في التحليل التداولي، و تعرف بأنها أصـــغر وحدة تحقق فعلا عن طريق الكلام بإصدار أمر أو توكيد أو وعد، و الذي من شأنه إحداث تغيير في وضعية أو موقع المتكلمين، بحيث يتوقف فك شفرته على إدراك المتلقي للطابع

---

[1] ثقايبث حامدة، قضايا لتداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص 133.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 128.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 162.

القصدي لفعل المتكلم، و هذا يعني أنه بمجرد النطق بأفعال الكلام تتحول هذه الأفعال إلى إنجاز الفعل.[1]

سنحاول أن نصنف الأمثلة التي قدمها "عبد القاهر الجرجاني" حسب تصنيف " ســـيرل " لأفعال الكلام :

- التقريريات (الإخباريات) مثل قتل الخارجي زيد فهي الجملة تحتمل الصـــدق أو الكذب فيجوز أن يكون قد قتل الخارجي أولا.
- كذلك بالنسبة إلى قوله تعالي : «أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم»[2] فهنا إقرار بـــأن يكون هو الفاعل أولا.
- ضرب زيد كذلك ما أن ضربت زيدا، هو قد خرج، كل هذه الأمثلة تحتمل الصدق أو الكذب غيري يأكل المعروف سحتا.

-**التوجيهات** : ما أنا أمرتك بهذا، ما بهذا إمرتك.

-**الوعديات** : كقول الرجل : أنا أعطيتك، إنا أكفيك، أنا أقوم بهذا الأمر و هنا يكـــون الشك في تمام لوعد و في الوفاء به.

-**التعبيريات** : أرأيت اليوم إنسانا، أزيدا تضرب، هو يحب الثناء.

-**الإعلانيات** : أنا فعلت، أتعلمني بضب أنا حرشته، أنا شفعت في بابه.

صنفنا الأمثلة التي قدمها "عبد القاهر الجرجاني" ضمن ما قدمه سيرل " من تصـــنيف لأفعال الكلام ، و ذلك محاولة منا لإبراز الجانب التداولي لهذه الألفاظ.

---

[1] ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين، دراسة نحوية لغوية بلاغية تداولية، ص 114.

[2] سورة الأنبياء ، الآية 62.

خاتمة

خاتمة:

من خلال وقوفنا على تراثنا البلاغي (تعريف البلاغة +علم المعاني +مبحث التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز) و عرض ما جاءت به التداولية خلصنا إلى:

– إن محاولة استقراء المبادئ التداولية الكامنة في التراث البلاغي العربي تحتاج إلى قراءة متأنية وتركيز حتى نوفي التراث حقه، لأن هذا التراث الضخم فيه كثير من المفاهيم والتصورات التي تشابه ما جاء به التداوليون المعاصرون، الأسماء و المصطلحات مختلفة ولكن المفهوم والمقصود واحد.

– إن اشتغال الجرجاني على اللغة جاء من النحو و البلاغة وعلماء التداولية كان منطلقهم من المنطق والفلسفة، فمقاربتهم واقعة على منطق اللغة لذلك كانت تحليلاتهم اللغوية تعتمد أمثلة عادية واقعية تنتمي إلى الواقع المعيشي، أما الجرجاني فكان دراسته واقعة على منطق البلاغة وكانت مدونته تعتمد النصوص الفنية(القرآن والشعر).

– تدرس البلاغة العربية كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارساتها أثناء عملية التواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى الحال(لكل مقام مقال)، والتداولية تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، لذلك فالبلاغة العربية والتداولية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي.

– لقد تعمق علماء العرب في دراسة البلاغة فوضعوا تعريفات متعددة ومتنوعة إلا أنها تركز في مجملها على مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتعيين العناصر المشاركة في العملية التواصلية(المتكلم، المخاطب، السياق)، وهذا يشكل نقطة تقارب والتقاء بين البلاغة والتداولية.

– بالرجوع إلى ما ورد عند البلاغيين العرب القدماء، وما نجده في اللسانيات التداولية يمكننا القول إن مفهوم اللزوم(اللازم والملزوم) عند" السكاكي"،(والمعنى ومعنى المعنى) عند "عبد القاهر الجرجاني" يماثل إلى حد ما تصور التداوليين لمفهوم الاستلزام الحواري.

و بحث أيضا في ظاهرة "الأفعال الكلامية" ضمن نظرية "الخبر والإنشاء" وقد كانت نظرة علمائنا لها تتميز بالشمولية، وإدراكهم للبعد التداولي للغة.

– يعد التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية تتطلبها مقامات مختلفة، وهو موضوع بلاغي احتضنه علم المعاني، ونلحظ أن هناك بوّن واسع في طريقة تناول "عبد القاهر الجرجاني" له، ودراسة سابقيه فلقد ضيقوا دائرته وحصروه في العناية والاهتمام غالبا، وفي التنبيه والتوكيد أحيانا وكان تداخل في الطرح النحوي مع الطرح البلاغي في هذا المبحث.

– يظهر اهتمام " عبد القاهر الجرجاني "بقصدية المتكلم في فعل التواصل من خلال الطريقة التي يعرض بها المتكلم خطابه، لذلك يراعى كيفية نقل الخبر إلى المخاطب للوصول إلى المقصدية في الأخير، فإذا أردت أن تستفسر على الفعل قدمته و إذا أردت الاستفسار عن الفاعل قدمته فهو متوقف على قصدك وغرضك.

– لم يصرح "عبد القاهر الجرجاني" "بالافتراض المسبق" لذلك لم يشر إليه بلفظ آخر لكنه كان يؤكد أنه لا يمكنك أن تستفسر على شيء إلا إذا كان ذاك الشيء حاصل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمــة المصـــــادر والمراجـــــع

القرآن الكريم

أ ــ الكتب:

1-ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وحققه وعلق عليه، أحمد الجوقي، بدوي طبانه، دار النهضة للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة –مصر، (د.ط) (د.ت).

2-ابن جني الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، مصر،(د.ط)، (د.ت).

3-ابن منظور، لسان العرب ، ضبط نصه وعلق حواشيه، خالد رشيد القاضي ، دار الصبح .أديسوفت ،ط1، 1427ه، 2006م .

4-أبو هلال العسكري ، الصناعيين الكتابة والشعر ، تحقيق مفيد قميحة، دارالكتب العلمية ، بيروت –لبنان، ط2، 1404ه، 1984م.

5-أحمد أبو المجد ، الواضح في البلاغة (البيان والمعاني والبديع ، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان –الأردن ، ط1 ، 1431ه ، 2010م.

5-أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء –المغرب ، ط1 ، 1406ه ، 1986م.

6-أحمد محمود المصري ، رؤى في البلاغة العربية ، دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، الإسكندرية –مصر ، ط1 ، 2008م.

7-أحمد مطلوب ، القزويني وشرح التلخيص ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد– العراقط1، 1387ه ، 1967م.

8-أحمد مطلوب، كمال حسن البصير ، البلاغة والتطبيق ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي –العرق، ط ج، 1420ه، 1999م.

9-أحمل فارس، مجمل اللغة ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1404ه ، 1984م.

10-إدريس مقبول، الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي ، عند سيبويه، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، إربد –عمان –الأردن ، ط1 ، 2006م.

11-الأزهر الزناد ، دروس البلاغة العربية لنحو رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع الدار البيضاء –بيروت، العربية محمد علي الحامي للنشر صفاقس–تونس ، ط11992م.

12-إنعام فوال عكاوي ، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ،ط2 ، 1417ه، 1996م.

13-بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائلعلم المعاني ، مكتبة وهبة عابدين–مصر، ج1،(د.ط) ،(د.ت).

14-تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب(د.ط) 1420، 2000م.

15-الجرجاني علي بن محمد، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب ، العربي ،بيروت .لبنان، ط4، 1419ه، 1998م .

16-جورج شكور ، كتاب البيان، موجز في البيان والعروض ، دار الفكر اللبناني ، بيروت –لبنان ، ط1، 1996م.

17-جون براون، ج يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق ، محمد لطفي الزليطي ، منير التريكي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية (د.ط)1997م.

18-الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتي ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون –الجزائر ، (د.ط) ، 1992م .

19-الخطيب القزوني، الإيضاح في علوم البلاغة ، لتحقيق محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت –لبنان ط1، 1422ه، 2001م .

20-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، سطيف –الجزائر ، ط1 ، 2009م.

21-خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، للنشر ، حيدرة –الجزائر ،ط2، 2006م.

22- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ، مكتبة دار التراث ، القاهرة مصر (ط2)،(د. ت).

23-الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان، ط1 ، 1419ه، 1998م.

24-السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب، العلمية بيروت – لبنان ، ط1 ، 1420ه، 2000م.

25- سيبويه ، الكتاب ،تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة ، ط3 ، 1407ه، 1977م.

26-السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، القدس للنشر والتوزيع .(د.ط) (د.ت).

27-السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المكتبة العصرية بيروت–لبنان ، (دط) ، 1407ه، 1987م.

28- صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة دول جرايس، الدار المصرية السعودية ، نصر–القاهرة ، (د.ط)، 2005م.

29-صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، مكتبة لبنان شرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجان –مصر ، ط1 ، 1996م.

30-عاطف فضل محمد ، البلاغة العربية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان–الأردن ، ط1 1432ه، 2011م.

31-عبد الحميد السيد، دراسة في اللسانيات العربية ، بنية الجملة العربية التراكيب النحوية والتداولية علم النحو وعلم المعاني ، دار الحامد للنشر والتوزيع.

32-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني ، البلاغة العربية أسسها وعلومها و فنونها ، دار القلم ، دمشق –سوريا، الدار الشامية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 1416ه، 1996م

عبد العاطي غريب علام:

33-دراسة في البلاغة العربية، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي –ليبيا، ط1 ، 1997م

34- البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل بيروت –لبنان ، ط1، 1413ه، 1993م .

35-عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ نشر الرياض ــ المملكة العربية السعودية (دط)، 1980م.

36-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه – أبو مهز محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ط5، 1424ه، 2004م .

37-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت –لبنان ، ط1 ، 2004م.

38-عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين ابن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية–مصر ، (د.ط)1986م.

39- عمر إدريس عبد المطلب ، حازم القرطاجي حياته ومنهجه البلاغي، دار الجنادرية ، للنشر والتوزيع، الأردن –عمان ، (د.ط)، 2008م .

40-عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف، شارع الإخوة مسلم –الجزائر ، ط1، 2003.

41-فرانسوازأرمينكو ،المقاربة التداولية، الترجمية،سعيد عليوش، مركز الإنماء القومي الرباط–المغرب،(د.ط)، (د.ت).

42-فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع إربد –الأردن، ط4 ، 1417ه،1997م.

43-فيلب للإنشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان ، تعريب صابر الحباشة ، عبد الرزاق الجمايعي عالم الكتب الحديث ، إربد–الأردن، ط1 ، 2012م.

44- محمد أبو شوارب، أحمد محمود المصري ، المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية –مصر ، ط1، 2007م.

45-محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، عابدين –القاهرة ، ط1، 1427 ه، 2006م .

46-محمد محمد يوسف علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتب الجديدة المتحدة بنغازي –ليبيا ، ط1 ، 2004م.

47-محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي ، المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، مصر (د.ط) 2002م.

48-مسعود بودوخة ، عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ،عالم الكتب الحديث، إربد –الأردني ، ط1، 1432، 2011م.

49-مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت–لبنان ، ط1، 2005م.

50- نعمان بوقرة ، اللسانيات واتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع إربد –الأرض ، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان –الأردن ، ط1، 1430ه، 2009م .

ب–الرسائل الجامعية :

1-ثفبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، رسالة ماجستير (مخطوط)إشراف :جامعة مولود معمري .تيزي وزو–الجزائر ، 2012..

2-دلال وشن ، الإفادات والمقاصد التبليغية في النحو العربي من منظور اللسانيات التداولية رسالة ماجستير ، إشراف محمد خان جامعة محمد فيض بسكرة –الجزائر ، 2008م، 2009م .

3- سليم حمدان ، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية .رسالة ماجستير (مخطوط)إشراف محمد بوعمامة، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر 2008م .

4-صابر يوسف النجار ، الإعجاز اللغوي في القرآن بين الجرجاني والزمخشري في كتابهما دلائل الإعجاز والكشاف رسالة ماجستير (مخطوط) إشراف سمير شريف ستينية ، جامعة اليرموك ، الفصل الثاني ، 2006م.

5-ظريفة ياسة ، الوظائف التداولية في المسرح مسرحية صاحبة الجلالة " لتوفيق الحكيم " نموذجا، رسالة ماجستير، إشراف فريدة بوسماحة، جامعة منتوري –قسنطينة –الجزائر 2009، 201م.

6- مي إلبان الأحمر ، التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة ، رسالة ماجستير (مخطوط)الجامعة الأمريكية في بيروت–لبنان–أيار، 2001.

7- ناغش عبدة ، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين ، دراسة نحوية لغوية بلاغية تداولية، رسالة ماجستير(مخطوط)إشراف بوجمعة شتوان، جامعة ملود معمري تيزي وزو– الجزائر .2012م

جـــ–المجلات :

1-إبراهيم بن منصور التركي ، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي ، مجلة جامعة أم القرى ، العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ، ج19 ، العدد 40 ، ربيع الأول 1428ه .

2-أسامة محمد إبراهيم البحري ، انغلاق البنية وانفتاحها في البنوية والتداولية والبلاغة العربية ، ندوة اللجنة العلمية ، دورة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول ، 1422ه

3-بلقاسم حمام ، فكرة المقام في النحو العربي، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، العدد 11 ، ماي 2007.

4-خليفة بوجادي ، نحو منظور تداولي لتدريس البلاغة العربية مشروع لربط البلاغة بالاتصال، ندوة اللجنة العلمية ، دورة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول ، 1422ه.

5-صلاح الدين زرال ، إرهاصات التداولية في التراث اللغوي العربي، مجلة الأثر ، العدد الخاص ، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب .

6-عمر بلخير ، نوارة بوعياد ، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية ، مجلة الأثر ، العدد 13 ، مارس 2012م.

7-محمد السيدي، إشكالية المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ، مجلة فكر ونقد الرباط–المغرب.ع 25، 2000م .

8-محمد بلقاسم، محمد بكاءي ، ميكانيزمات الاستغلال ، الذهني في فهم وتأويل الخطاب ، مقاربة معرفية تداولية ، مجلة مقاليد العدد 3 ، ديسمبر 2012م.

فهرس

الفهـــرس

مقدمة

الفصل الأول: التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني

1- البلاغة.....ص05

أ- لغة : ص05

ب-اصطلاحا : ص05

2- تعريف علم المعاني :.....ص07

3- في التقديم والتأخير ص09

4- التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني.....ص11

4-1- أنواع التقديم والتأخير.....ص12

4-2-التقديم والتأخير بين الفعل الماضي والاسم في الاستفهام ص16

4-2-أ- تقديم الفعل المضارع مع الاستفهام ص20

4-2-ب-تقديم المفعول به مع الاستفهام ص22

4-3- التقديم والتأخير في النفي.....ص23

4-3-أ- تقديم المفعول به وتأخيره في النفي.....ص26

4-3-ب-تقديم الجار مع المجرور وتأخيره في النفي ص27

4-4- التقديم والتأخير في الخبر المثبت.....ص28

4-5- تقديم "مثل" و"غير".....ص33

4-6- تقديم النكرة ص33

الفصل الثاني في التداولية

1- التداولية ص36

أ- لغة ص36

ب-اصطلاحا.....ص36

2- موضوعات التداولية ص41

2-1- الافتراض المسبق.....ص41

2-2- الاستلزام الحواري.....ص44

2-3- الأفعال الكلامية ص50

الفصل الثالث مقاربة تداولية للبلاغة العربية

1-ملامح التداولية في البلاغة العربية ص58

1-1- الاستلزام الحواري في التراث البلاغي.....ص64

1-2-أ- أفعال الكلام في التراث البلاغي.....ص68

2- مقاربة تداولية للتقديم والتأخير.....ص69

2-1- الافتراض المسبق.....ص69

2-2- الاستلزام الحواري.....ص70

2-3- أفعال الكلام ص76

الخاتمـــــــــة.

قائمـــــة المصادر والمراجع

ملخص:

لقد كانت محاولتنا في هذا الموضوع ، البحث عن ملامح التداولية في التراث البلاغي العربي لأن التداولية تكاد تكون حكرا على علماء الغرب ، في حين أن بلاغتنا العربية تحمل و تزخر عديد المفاهيم التي تصب في المنحى التداولي ، فعلماؤنا تناولوا اللغة في استعمالها و مطابقتها لمقتضى الحال و السياق و المقام الذي تقال فيه ، و قدموا الكثير من المباحث التي تنطوي تحت المبحث التداولي، فهذه الملاحظات والنظريات التي تشت

و تماثل ما جاءت به التداولية نجدها مبثوثة متفرقة بين الكتب البلاغية، و اقتصرنا في بحثنا و ركزنا على باب التقديم و التأخير من دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني أنموذجا .

Résumé

Notre travail vise à trouver les éléments de langage de la pragmatique dans l'héritage rhétorique arabe. La pragmatique était considérée comme uniquement la branche de la linguistique occidentale alors que la rhétorique arabe et riche de nombreux concepts et figures de style.

Nos linguistiques arabes ont travaillé sur l'influence et les conséquences du langage sur le contexte ainsi que sur le cadre spatio-temporel. Ils ont apporté beaucoup de savoir dans ce domaine.

Nous nous sommes concentrés sur un chapitre du livre de Abdelkader ALDJARDJANI intitulé " etakdim wa takhir" comme référence.